Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 8, Issue 7 (2024) • P: 81 - 64
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

Arab-Zionist Struggle Terminology of Place Naming

Dr. Amal Mahmoud Abu Own*[1], Prof. Ihsan Yacoub Al-Deek[1]

[1] An-Najah National University | Palestine

Received: 12/05/2024
Revised: 23/05/2024
Accepted: 02/06/2024
Published: 30/07/2024

* Corresponding author: amal10111973@gmail.com

Citation: Abu Own, A. M., & Al-Deek, I. Y. (2024). Arab-Zionist Struggle Terminology of Place Naming. *Journal of Humanities & Social Sciences, 8*(7), 64 – 81. https://doi.org/10.26389/AJSRP.L120524

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The thesis deals with the Arab-Zionist struggle terminology through studying and examining certain examples related to the struggle. It adopts an analytical-interpretive study of these examples in terms of their linguistic significance and their explicit or implicit intellectual dimensions. It also compares their usage by the two sides of the struggle, in an aim of addressing the problem of the study represented by the Zionist movement's use of the terminology to support its narrative, and the weakness or failure of Arabic terms to confront the Zionist ones.

The research focuses on the Zionist terminology, which manipulated the place-indicating terminology to impose Zionist narrative on the ground. And in order to form a comprehensive picture of the use of terms and their role in the conflict, the thesis is divided into three chapters as follows: the place-indicating terminology of the Zionist side, the Arab side's attitude towards the Zionist terminology, and the significance of the terms used by both parties.

The research results indicate that the Arab side adhered to the terminology existed before the occupation, but was sometimes forced to use the terminology of the Zionist side because it has become an imposed reality. The researchers recommended to intensify the efforts to spread awareness among the new generations to avoid using Zionist terminology, and to produce maps that include Arabic names and promote them through digital platforms.

Keywords: Palestine, Arab-Zionist Struggle, Zionist Narrative, Palestinian Narrative.

مصطلحات الصراع العربيّ - الصهيونيّ في تسمية المكان

الدكتورة / أمل محمود أبو عون*[1]، الأستاذ الدكتور / إحسان يعقوب الديك[1]

[1] جامعة النجاح الوطنيّة | فلسطين

المستخلص: يتناول البحث مصطلحات الصراع العربيّ-الصهيونيّ في تسمية المكان من خلال الوقوف على نماذج منها، ودراستها دراسة تفسيريّة تحليليّة من حيث دلالتها اللغويّة وأبعادها الفكريّة المعلنة أو المضمرة، والمقارنة بين طرفي الصراع في تداولها؛ بهدف معالجة مشكلة الدراسة المتمثّلة في توظيف الحركة الصهيونيّة المصطلحات لدعم روايتها، وضعف المصطلحات العربيّة أو تقصيرها عن مجابهة المصطلحات الصهيونيّة.

يركز البحث على مصطلحات الطرف الصهيونيّ الذي تلاعب بالمصطلحات الدالة على المكان؛ لفرض روايته على الأرض. ومن أجل تكوين صورة شاملة حول تداول مصطلحات تسمية المكان قسم البحث إلى ثلاثة محاور: مصطلحات الطرف الصهيونيّ الدالّة على المكان، فموقف الطرف العربيّ من المصطلحات الصهيونيّة، فدلالة المصطلحات التي يتداولها الطرفان.

تشير نتائج البحث إلى تمسّك الطرف العربيّ بالمصطلحات التي كانت قائمة قبل الاحتلال، لكنّه اضطرّ أحيانا إلى تداول مصطلحات الطرف الصهيونيّ؛ لأنّها أصبحت واقعا مفروضا على الأرض. وقد أوصى الباحثان بضرورة تكثيف الجهود لنشر الوعي بين الأجيال لتجنّب استخدام المصطلحات الصهيونيّة، وإنتاج خرائط لفلسطين تضمّ الأسماء العربيّة وترويجها عبر المنصّات الرقميّة.

الكلمات المفتاحيّة: فلسطين، الصراع العربيّ - الصهيونيّ، الرواية الصهيونيّة، الرواية الفلسطينيّة.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، وأنزل على عبده القرآن الكريم حجة للعالمين، وحفظه من الوضع والتحريف. والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد،

فقد مثّلت فلسطين حلبة للصراع العربيّ-الصهيونيّ عندما اغتصبت الحركة الصهيونيّة التاريخ قبل الأرض، فادّعت بأنّ يهود أوروبا هم ورثة بني إسرائيل، وأنّ أرض فلسطين هبة إلهيّة لهم، فسعت بدعم من الدول الاستعماريّة لإعادتهم إليها وإقامة دولة اليهود في جبل صهيون؛ ليُبعث (الماسيح) الذي سيخلّص العالم -وفق الرواية الصهيونيّة.

فلم يكن الصراع العربيّ-الصهيونيّ صراعا تقليديا بين دولتين على حدّ فاصلٍ أو مساحةٍ جغرافيّة تنازع شعبان في ملكيّتها، بل كان صراع وجود بين مواطنين نشأوا في فلسطين التي ورثوها عن الآباء والجدود إرثا متناقلا ونسبا ممتدّا، ومجموعات احتشدت من شتات بقاع الأرض للحلول فيها مكان أهلها، بدعوى حقّ تاريخيّ مزعوم. ومن أجل إثبات ذلك الحق سعت الحركة الصهيونيّة لغرس جذور لليهود في أرض فلسطين من خلال محو ذاكرة المكان وانتحال ماضيه الكنعانيّ لبني إسرائيل، وتوظيف المصطلحات التوراتيّة في تسمية التجمعات السكانيّة الطارئة، أو تهويد الأسماء القائمة.

فهل قاوم العرب هيمنة الرواية الصهيونيّة وتهويد المكان مثلما قاوموا قوّات الاحتلال الغازية لفلسطين؟ للإجابة على هذا السؤال جاء هذ البحث يهدف دراسة المصطلحات المتداولة بين طرفي الصراع في تسمية المكان. وهو لا يهدف إلى إحصاء تلك المصطلحات التي يضيق بها المقام، وإنّما الوقوف على منهج الطرفين في تداولها، لذا فالدراسة تقتصر على عرض نماذج من المصطلحات وتفسيرها لبيان أصولها وأبعادها الفكريّة.

كان التركيز خلال البحث على مصطلحات الطرف الصهيونيّ؛ كونه الطرف الذي تلاعب بالمصطلحات، وجعل منها وسيلة لفرض روايته على الأرض، بينما سعى الطرف العربيّ للحفاظ على المصطلحات التي كانت قائمة قبل الاحتلال في أغلب الأحيان. ولتوضيح ذلك تمّ تقسيم البحث إلى عدّة محاور هي: مصطلحات الطرف الصهيونيّ في تسمية الحيز الجغرافيّ، فمصطلحاته في تسمية البلدات والمعالم المختلفة، فموقف الطرف العربيّ من المصطلحات الصهيونيّة، فمصطلحات المتداولة بين الطرفين ودلالتها عند كليهما.

وظّف المنهج الاستقرائيّ في دراسة المصطلحات للوقوف على منهج الطرفين في تداولها، والمنهج التحليليّ التفسيريّ في مناقشة المصطلحات المعروضة للوقوف على أبعادها المختلفة، والمنهج الأسطوريّ لفهم الأصول الفكريّة التي تعود إليها، والمنهج التاريخيّ في تتبّع سيرة المصطلح وارتباطه بمراحل الصراع وطبيعته.

لم تكن هذه الدراسة الأولى في مجالها فقد سبقها دراسات حول تهويد المكان أحدثها: بحث بعنوان "ذاكرة المكان، أسماء المدن والقرى الفلسطينيّة ما بين الاستمراريّة التاريخيّة والطمس الصهيونيّ"، للباحث أ. د. محمد مرقطن، مجلّة تبيّن: الدوحة 2020، وفيها تتبع تاريخ ورود أسماء بعض المدن والقرى الفلسطينيّة، وأشار إلى ما حرّفه اليهود منها. ودراسة بعنوان: "حرب الكلمات، استثمار العبرنة في تهويد فلسطين نموذجا"، للباحث أ. د. إحسان الديك، نشرت فصلا في كتابه الموسوم بـ "فلسطين بين الواقع والأسطورة" 2019، تناول السياسة الصهيونيّة في تهويد المكان وعبرنة الأسماء. وكتاب للباحث محمود المرداويّ بعنوان "المستوطنات الصهيونيّة في الضفّة الغربيّة أصل التسمية ودلالاته" (2016)، جمع فيه أسماء المستوطنات والبؤر الاستيطانيّة في الضفّة الغربيّة، مع تفسير موجز لسبب التسمية ومعاني الأسماء.

تميّزت هذه الدراسة باستثمار نتائج الدراسات السابقة للخروج برؤية شاملة حول المصطلحات من حيث مصادرها، وتحليلها للوقوف على أبعادها اللغويّة والفكريّة، وأضافت لها تداول الطرف العربيّ لتلك المصطلحات وموقفه منها، إلى جانب تبويبها في مجالات محدّدة لتيسير استقرائها واستخلاص النتائج منها؛ أملا في تنبيه العرب وأحرار العالم إلى ما فيها من مراوغة الطرف الصهيونيّ، وحملهم على مراعاة الدقّة عند توظيف المصطلحات.

نظرا لكثرة المصطلحات وتشعّبها فقد اختار الباحثان منها ما يمثّل الظاهرة من مختلف جوانبها، وكانت النماذج المختارة كافية لتقديم صورة واضحة حول حجم المفارقة بين الحقائق وما توحي به مصطلحات الطرف الصهيونيّ من تزوير وتشويه لها، كما أشارت إلى تهاون الطرف العربيّ عند توظيفها، وغير ذلك من النتائج، التي تخلّلت البحث.

ويأمل الباحثان أن تكون هذه الدراسة رافدا جديدا للمكتبة العربيّة، وأن تتبعها دراسات لاحقة لمواجهة هيمنة الرواية الصهيونيّة، وكشف ما تنطوي عليه من ادّعاءات وأباطيل، وتساهم في نشر الرواية الفلسطينيّة، ودعم الشعب الفلسطينيّ لاستعاده تاريخه وأرضه من الاغتصاب الصهيونيّ.

والله ولي التوفيق

أولا: سياسة الطرف الصهيونيّ في تسمية المكان

أوّل ما يطالعنا في هذا المحور أنّ الطرف الصهيونيّ بنى ادّعاءاته على الرواية التاريخيّة التي استمدّها من نصوص التوراة، بعد أن أخضع تاريخ فلسطين للنصّ التوراتيّ المشوّه، فنسف المؤرّخون التوراتيّون تاريخ فلسطين السابق لليهوديّة، وجعلوا الزمن الذي تحكيه التوراة عن العبرانيّين بداية لتاريخ المنطقة. (عدوان، 2007) لذلك ركّزت عمليات التنقيب عن الآثار والبحث في كتب التاريخ على العصر الحديديّ الذي احتلّ اليهود فيه فلسطين وأهملت ما قبله من العصور. (وايتلام، 1999) ورغم التضارب في الأخبار والروايات التي نقلتها أسفار التوراة إلا أنّ المؤرخين التوراتيين أجمعوا على الجغرافيّا التي شهدت تلك الأحداث، ومركزها فلسطين حيث زعم اليهود أنّهم أقاموا مملكتهم بعد خروجهم من مصر. (السواح، 1989)

لم تتمخّض الأبحاث وعمليات التنقيب عن أيّ دليل يثبت وجود اليهود في فلسطين، بل على العكس من ذلك فقد أدّت إلى "دحض ما كان من المفترض أن يثبت ويتأكّد". (بيتربيرغ، 2009، الصفحات 292-300) ممّا دفع الحركة الصهيونيّة إلى السعي لإثبات صحّة الرواية التاريخيّة، تأكيد حقّ اليهود بفلسطين، من خلال اختلاق بعد جغرافيّ لأساطير التوراة المزعومة في المنطقة، فشكلت "لجنة التسميات" لإعادة تسمية الأماكن، أو استحداث أماكن بمسميّات توراتيّة توهم بوجود امتداد لتاريخ اليهود في فلسطين. فكانت عمليّة إعادة الأسماء التوراتيّة القديمة بمثابة "تجديد للعهد القديم [...] وأكبر شهادة بأنّ فلسطين إرث لليهود". (بنفنيستي، 2001، صفحة 59)

وفي السياق ذاته تجنّب الطرف الصهيونيّ ذكر الأسماء التي تتعارض مع روايته، واستبدل بها مصطلحات أخرى، مثل استبدال مصطلح "أرض الميعاد" أو "أرض إسرا ئيل" أو "إسرا ئيل" بمصطلح "أرض كنعان" أو "فلسطين". واستبدال أسماء المدن والمواقع التوراتيّة بالأسماء العربيّة التي لا يوجد لليهود مصلحة في تخليدها؛ خوفا من الخطر الذي تشكّله الأسماء العربيّة على الوجود اليهوديّ في فلسطين. (بنفنيستي، 2001)

لتوضيح توظيف الطرف الصهيونيّ لمصطلحات تسمية الأماكن في الصراع وقفت الباحثة على نماذج من تلك المصطلحات بدءا بتسمية الحيز الجغرافيّ أو الكيان الصهيونيّ فيه، فأسماء المدن والتجمعات السكانيّة والتضاريس المختلفة، مع بيان أصول الأسماء المختارة، والمنهج المتّبع في اختيارها.

1:1 تسمية الإقليم أو الحيز الجغرافيّ

لم يبدأ الصراع على الأرض مع وعد بلفور، وليس مع نشأة الحركة الصهيونيّة بل تعود بداياته إلى تاريخ كتابة أسفار التوراة، وشروحاتها، ولا سيّما بعد الرجوع إلى الكنيسة البروتستانتيّة إلى النصّ الحرفيّ للتوراة بعد أن كانت تعتمد على تأويل النصّ لقرون عديدة. (فريته، د. ت) وبناء على النصّ التوراتيّ ادّعى الصهاينة أنّ وجود اليهود الحاليّ في فلسطين امتداد لعهد الملك داود الذي تغلّب على الكنعانيّين، والقبائل التي كانت تقيم في فلسطين قبل دخول القبائل اليهوديّة إليها تحقيقا لوعد الربّ لإبراهيم بأنّ يملّكه ونسله أرض فلسطين.

وإذا كان دخول اليهود إلى الأرض المباركة وإقامة مملكة داود حقيقة ثابتة في القرآن الكريم، فإنّ إحداثيّات مملكة داود، وحدود الأرض المباركة، أو طبيعة العلاقة بين مملكة داود وأهل البلاد بعد أن قتل داودُ جالوتَ... لم تحدّد في القرآن الكريم، وهو النصّ المحكم البعيد عن التحريف والوضع البشريّ، ممّا ترك مجالا لنسج القصص والرؤى والأساطير عند كتبة النصّ التوراتيّ، وفيهم يقول - جلّ وعلا: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾. [البقرة: 79] كما فتح مجالا لتلفيق الأخبار والتلاعب بفضائها المكانيّ كما فعل المؤرّخون التوراتيّون الذين جعلوا دخول بني إسرائيل إلى المنطقة بداية لتاريخها.

في سبيل إثبات مزاعم الحركة الصهيونيّة بأنّ لليهود حقّا تاريخيّا بأرض فلسطين، والمنطقة بأسرها، تجنّبت الحركة الصهيونيّة منذ نشأتها استخدام المصطلحات التي تكشف زيف روايتهم في تسمية الأماكن. فتجنّبوا استخدام مصطلح "فلسطين" رغم وروده صريحا في أسفار التوراة (13) مرّة، منها: "وَانْهَزَمَ البَاقُونَ إِلَى أَرْضِ فلسطِينَ". (المكابيّون الأوّل: 3: 24) ومنها: "وأَجعَلُ تُخُومَكَ مِن بَحرِ سُوفٍ إلى بَحرِ فلسطِينَ، وَمِن البَرِّيَّةِ إلى النهرِ". (الخروج: 23: 31) ونسب إليها أكثر من (240) مرّة، منها: "وتَغَرَّبَ إبراهِيمُ في أَرضِ الفِلسطِينيّينَ أَيَّامًا كَثيرَةً". (التكوين: 21: 34) ومنها: "فتَمكَّنَ داوُدُ مِنَ الفلسطينِيِّ بِالمِقلاعِ والحَجَرِ، وَضَرَبَ الفلسطيِنيَّ وقَتلَهُ". (صموئيل الأوّل: 17: 50)

وحسب التوراة التي انبثقت منها الرواية الصهيونيّة لم يمحَ اسم فلسطين خلال الفترة التي دخل اليهود فيها فلسطين، أو عند إقامة مملكة داود، وبناء هيكل سليمان. بل بقي حاضرا شاهدا على تاريخ الأرض وسكانها الأصليّين. ومن ذلك ما جاء في قصّة شمشون: "وقَضَى لإسرائيل في أَيَّامِ الفلسطِينِيِّينَ عِشرِينَ سَنةً". (القضاة: 15: 20) وجاء في قصّة سليمان: "وكانَ سُليمانُ مُتسَلِّطًا على جَميعِ الممالِكِ مِنَ النهرِ إِلَى أَرضِ فلسطِينَ، وإِلى تُخُومِ مِصرَ". (الملوك الأوّل: 4: 21)

ولم يكتف الطرف الصهيونيّ بتجنّب ذكر مصطلح "فلسطين"، الذي خلت منه كتب التاريخ المدرسيّة في الكيان الصهيونيّ بعد النكبة حتى منتصف السبعينات، (بوديه، 2006) بل أنكروا معرفتهم به قبل القرن السابع الميلاديّ حين فرض الرومان اسم "بلستيا" على المنطقة. (ساند، 2018) وممّا جاء في أحد كتب التاريخ المعتمد خلال الفترة (1976 - 1993): "بعض الناس بسبب تعودهم على الاسم، يصرون على تسمية بلادنا "فلسطين" ربما لم يكونوا أيضا واعين لأصول الاسم. الرومان هم أوّل من سمّى بلادنا فلسطين... سموا البلاد على اسم أعداء إسرا ئيل الفلسطينيّين، الذين عاشوا في البلاد بضعة قرون سابقة... ونحن سوف نستخدم الاسم الحقيقيّ للبلاد "أرض إسرا ئيل". (بوديه، 2006)

وفي السياق ذاته نسب الطرف الصهيونيّ المدن والفلسطينيّين إلى القوميّة العربيّة بدلا من النسبة إلى فلسطين. وممّا نجده في ذلك قول ناشطة يهوديّة (وهي من المؤيّدين للحقّ الفلسطينيّ في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة) في حديثها عن حاجز تفتيش صهيونيّ: " كان الحاجز قرب بلدة برطعة العربيّة"، (نايثن، 2006، صفحة 221) فلم تنسبها إلى فلسطين، وأشارت إلى الفلسطينيّين باسم "عرب إسرا ئيل"، أو "السكّان العرب" بدلا من الفلسطينيّين.

كما تجنّبوا استخدام مصطلح "أرض كنعان" الذي ورد في أسفار التوراة (69) مرّة، إضافة إلى (8) مرّات بالجمع "أرض الكنعانّيين"، ومن ذلك: "كَلِّمْ بَنِي إسرائيل وَقُلْ لَهمْ: إِنَّكُم عَابِرُونَ الأُردنَّ إِلى أَرضِ كَنْعَانَ". (العدد: 33: 15) لأن هذا المصطلح -كسابقه- ينسف ادّعاءات الحركة الصهيونيّة من أساسها بما يحمله من دلالة صريحة على الوجود التاريخيّ للفلسطينيّين قبل الوجود اليهوديّ. (الشريف، 2017)

بدلا من مصطلحي "فلسطين" و"أرض كنعان" استخدمت الحركة الصهيونية مصطلحات توراتيّة في تسمية الحيز الجغرافيّ، وفيما يلي عرض لأبرز تلك المصطلحات وفق الترتيب الهجائيّ:

أرض إسرا ئيل: ورد مصطلح "أرض إسرا ئيل" في أسفار التوراة (29) مرّة، علما أنّه لم يرد في الأسفار الخمس الأولى (المجمع عليها عند اليهود)، وإنّما في الأسفار المتأخّرة، منها (20) مرّة في سفر (يحزقال)، الذي كتبه بعد السبي البابليّ، وهو عبارة عن رؤى ونبوءات حول مستقبل اليهود وعودتهم إلى القدس. (يحزقال: 1، 2)

لم يكن ورود المصطلح في التوراة دليلا على سيطرة بني إسرائيل على الحيّز الجغرافيّ أو الاصطلاح على تسميته إسرا ئيل. يستشفّ ذلك من النصّ: "وَلَمْ يُوجَدْ صَانِعٌ فِي كُلِّ أَرْضِ إسرائيل، لأَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ قَالُوا: «لِئَلاَّ يَعملَ العِبرَانِيُّونَ سَيفًا أَو رُمحًا»"، (صموئيل: 13: 19) فلم يكن لبني إسرائيل سيادة على الأرض وإنّما يدلّ المصطلح على الأرض التي خصّصت لإقامة بني إسرائيل، وكانت تلك الإقامة وفق الشروط التي فرضها الكنعانيّون عليهم.

ومصطلح "أرض إسرا ئيل" في التوراة لم يكن متطابقا مع الحدود التي أقيم فيها الكيان الصهيونيّ، بل يقتصر على المساحة المحدودة التي أقيمت فيها مملكة إسرائيل الشماليّة، وهي جزء من محافظتي نابلس وطولكرم حاليا، وعرفت في التوراة باسم السامرة. أمّا في بيت لحم والقدس والخليل فقامت مملكة يهودا. (ساند، 2018) ومملكة إسرائيل وفق هذه الحقيقة لا تعدو كونها مقامة في واحدة من مدن فلسطين، يؤكّد ذلك ما ورد على حجر يشيد بالانتصارات المصرية للفرعون (مرنباح) عام 1225 ق. م، وهو أقدم ذكر لإسرائيل، حيث جاء فيه أنّ الملك "أخذ يستولي على المدن الفلسطينيّة وأثناء ذلك دمرت إسرائيل". (فؤاد، 1999، صفحة 83)

لا شكّ في أنّ قبيلة بني إسرائيل تفرّقت إلى قبائل في الأرض لقوله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا**﴾، [الأعراف: 160] وقوله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا**﴾، [الأعراف: 168] وأنّ النبي داود -عليه السلام- الذي نسبت له مدينة القدس كان ملكا على قوم من بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿**وَقَتَلَ داود جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ**﴾. [البقرة: 251] لكنّ القرآن لم يذكر أنّ داود أسّس مملكة خاصّة لبني إسرائيل وطرد سكان البلاد الأصليّين أو أنّه منحها اسم "إسرائيل".

وكانت القدس أو "مدينة داود" صغيرة المساحة حتى قيل في وصف صغر مساحتها: "إذا خرج الرجل مع طلوع الشمس من القدس متجها شرقا أو غربا ففي وسعه أن يبلغ أطرافها في فترة وجيزة من الصباح". (جفريز، 1971، صفحة 44) وكذلك كانت مملكة اليهود بعد العودة من بابل بالغة الصغر لدرجة تجاهل الرحّالة ذكرها. (جفريز، 1971)

نظرا لذكر أخبار بني إسرائيل في الكتب المقدّسة، مع غياب السرديّة التاريخيّة المتّسقة والموثّقة، فقد اختلف الباحثون حول حقيقة بني إسرائيل وتاريخ مملكتهم. وعزّز هذا الاختلاف غياب تحديد الموقع الجغرافيّ لتاريخ اليهود أو مملكة داود في النصّ القرآنيّ، وانعدام الآثار أو الشواهد التاريخيّة التي تدلّ على وجود مملكة بني إسرائيل في فلسطين. وقد أشار بعض الباحثين في تشكيكهم بالرواية التوراتيّة إلى أسباب أخرى منها التشابه في أسماء القبائل والأماكن بين فلسطين والجزيرة العربيّة. (الصليبيّ، 1985) ومنها بعض الحقائق التي تتعارض مع سيادة اليهود على الأرض كمنعهم من استخدام الطرق المحرّمة بعد عودتهم من بابل، (جفريز، 1971) وما ورد في تاريخ القبائل اليهوديّة في فلسطين من احتلالهم الجبال دون السهول، بينما يشير واقع التجمّعات الحضاريّة إلى احتلال الممالك القويّة السهول

ولجوء المغلوب إلى التلال والمرتفعات في حالات الصراع الشبيهة بما تسرده نصوص التوراة حول تاريخ اليهود في فلسطين. (جفريز، 1971)

تمثلت مظاهر الاختلاف حول تاريخ اليهود في فلسطين بإنكار بعض الباحثين وجود مملكة لبني إسرائيل بمفهومها السياسيّ، ورأوا أنّ بني إسرائيل كانوا تجمّعا قبليّا تنقّل كغيره من القبائل في المنطقة، وكلمة "إسرائيل" حيث وردت في التوراة لا تعني مكانا بل أمة وشعب اليهود الذين انحدروا من صلب يعقوب. (فرِيته، د. ت)

وذهب آخرون مع الرواية التوراتيّة من حيث قيام مملكة لليهود في الأرض المباركة، فرأى أنّ مصطلح "إسرائيل" كان يحمل دلالة جغرافيّة سياسيّة في مساحة محدّدة من أرض فلسطين، لكنّها لا تتطابق إقليميّا مع فلسطين التاريخيّة أو الكيان الصهيونيّ الراهن، (ساند، 2018) بل اقتصرت على المملكة الشماليّة، التي قامت بعد موت سليمان وانقسام مملكة داود إلى مملكة "يهوذا" في الجنوب، و"إسرائيل" في الشمال عام 932 ق. م. (سوسة، د. ت)

وهناك فريق ثالث انطلق من حقيقة انعدام وجود آثار تدلّ على وجود مملكة لليهود في فلسطين، فرأى أن "إسرائيل" مصطلح سياسيّ يدلّ على مملكة اليهود، لكنّ تلك المملكة لم تكن في فلسطين، بل في شبه الجزيرة العربيّة؛ لتشابه أسماء الأماكن الجغرافيّة فيها مع الأماكن التي ذكرتها التوراة. (الصليبيّ، 1985) أو في اليمن، لتشابه الأسماء، وانتشاء الآثار والنقوش التي توافق رواية التوراة واللغة العبريّة. (الربيعيّ، 2010)

بعيدا عن حقيقة مملكة اليهود وجغرافيتها، التي لا تدلّ على حقّ لليهود في فلسطين بالمطلق؛ نظرا لاغتصاب بني إسرائيل الأرض عنوة كما ورد في سفر يوشع، فقد شاعت الحركة الصهيونيّة، معزّزة بالأطماع الاستعماريّة لبريطانيا، (رابكن، 2021) أن تقوم دولة لليهود في فلسطين دون سواها، من خلال توظيف التوراة في الخطاب السياسيّ الصهيونيّ. (ساند، 2018) ولتحقيق هذا الهدف سعت الحركة الصهيونيّة منذ نشأتها إلى خلق امتداد تاريخيّ للوجود اليهوديّ في فلسطين، فاستخدمت المصطلح التوراتيّ "أرض إسرا ئيل" في الإشارة إلى فلسطين، وروّجت لمصطلح "أرض الميعاد" لتشجيع اليهود على الهجرة المقدّسة إلى فلسطين.

ظلّ مصطلح "أرض إسرا ئيل" رائجا بعد إعلان الطرف الصهيونيّ قيام دولة لليهود تحمل اسم "إسرا ئيل" بعد النكبة، لأنّ المتشدّدين من الطرف الصهيونيّ رفضوا استخدام مصطلح "دولة إسرا ئيل" واستبدلوا به "أرض إسرا ئيل"، أو "الأرض المقدّسة" للتعبير عن انتمائهم للأرض لا لإقليم سياسيّ قد ينشأ في أيّ مكان آخر، (رابكن، 2021) ولأنّ مصطلح "أرض إسرا ئيل" يوحي أنّ هذه الأرض ملك لإسرا ئيل لا يشاركهم فيها غيرهم. (عبد الكريم، 2001)

أرض متنازع عليها: استخدم المصطلح بداية للدلالة على الأراضي المحتلّة من البلاد العربيّة المجاورة لفلسطين مثل (الجولان، ومزارع شبعا)، ولكنّ الطرف الصهيونيّ يصرّ على استخدامه لوصف الضفّة الغربيّة وخاصّة مدينة القدس التي قام باقتطاعها من أراضي الضفّة الغربيّة وضمّها رسميّا لكيانه منذ عام 1980؛ بهدف فرض سياسة الأمر الواقع وإخراجها من دائرة المفاوضات بين الطرفين.

بعد أوسلو درج مصطلح "الأراضي المتنازع عليها" في الدلالة على الأراضي المحتلّة عام 1967؛ وذلك لتجنّب الإقرار باحتلاله للأراضي ممّا يوجب عليه تحمّل واجبات الدولة المحتلّة وفق القوانين الدوليّة، إضافة إلى تجنّب الاعتراف بالدولة الفلسطينيّة. وتبعت الدول الداعمة للكيان الصهيونيّ مثل الحكومة الأمريكيّة الطرف الصهيونيّ في استخدام المصطلح لوصف الضفّة الغربيّة في تجاوز آثم ظالم لجميع القرارات الدوليّة والاتّفاقيّات الموقّعة بين الطرفين. (موسى خ.، 2019)

ينبني على استخدام هذا المصطلح إسقاط صفة الأراضي المحتلّة عن الضفّة الغربيّة، وإجهاض مشروع إقامة الدولة الفلسطينيّة، وتصفية القضيّة لصالح الكيان الصهيونيّ؛ فليست أراضي الضفّة الغربيّة إلا ملكيات فيها نزاع بين السكان الفلسطينيّين والمستوطنين، ويقتصر دور الحكومة "الإسرا ئيليّة" على فضّ النزاع بين الطرفين بتوزيع الأراضي والموارد بينهما وفق القوانين التي تفرضها في المنطقة.

أرض الميعاد: لم يكتفِ الطرف الصهيونيّ بمصطلح "أرض إسرا ئيل" الذي روّج له بدلا من "أرض كنعان" أو "فلسطين" بل أضاف مصطلح "أرض الميعاد". وهو مصطلح توراتيّ وإن لم يرد في أسفار التوراة، وإنّما استندت الحركة الصهيونيّة في صياغته إلى الوعد الذي تكرّر في التوراة أنّ الربّ قطعه لإبراهيم -عليه السلام- بأن تكون أرض كنعان له ولنسله من بعده، وممّا جاء في ذلك: "وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسلِكَ مِن بَعدِكَ أَرضَ غُربَتِكَ، كُلَّ أَرضِ كَنعَانَ مُلكًا أبديًّا". (التكوين: 17: 8) ثمّ تكرّر الوعد لإسحاق، فيعقوب، فموسى -عليهم السلام- دون أن يتحقّق الوعد، أو يسعى أيّ منهم لتملّك الأرض، إلى أن أعيد الوعد لخادم موسى (يشوع بن نون) بعد قرون طويلة من الوعد الأوّل لإبراهيم فسعى إلى تحقيقه. (الديك، 2019)

أقام الطرف الصهيونيّ على هذا المصطلح "أرض الميعاد" حجّته في السيادة على فلسطين، على الرغم من الدليل القاطع الذي ورد في التوراة نفسها من عدم استحقاقهم لهذه الأرض؛ فتلك الأرض لم تكن وطنا لإبراهيم بل أرض غربة -كما جاء في النصّ السابق-

والمرء لا يكون غريبا في أرضه. كمّا أنّ إبراهيم (حين أعطي الوعد) سكن الأرض لكنّه لم يسع لاحتلالها، ولم يدّع له حقّا فيها؛ ودليل ذلك إصراره على دفع ثمن الحقل الذي دفن فيه زوجته سارة عند موتها لمالك الحقل (عفرون) الحثّيّ. (التكوين: 23) وفي إصرار إبراهيم على شراء الحقل حجّة قاطعة على عدم جواز تملّكه للأرض دون دفع مقابل لمالكها الأصليّ، ودليل على طيب العلاقة بين الطرفين، فقد كان إبراهيم ضيفا في أرض كنعان، ولقي حسن جوار وضيافة.

تضمّنت أسفار التوراة ما يناقض تملّك اليهود للأرض المباركة في أوج ازدهار مملكة اليهود في عصر داود، جاء ذلك في خبر شراء داود الحقل من (أرنان) اليبوسيّ ليبني معبد الربّ، (صموئيل الثاني: 24: 21 -24) (أخبار الأيام الأول: 21: 24 - 25) فداود بعد أن أصبح ملكا على البلاد "لم يكن يتصرّف كمالك، ولم يحاول إبعاد السكّان الأصليين، بل على العكس كان يفاوض بأدب". (غارودي، 1990، صفحة 96) فلو كانت الأرض ملكا له أو لبني إسرائيل لما أصرّ على دفع ثمنها وخاصّة أنّ غرض الشراء كان بناء المعبد.

وهناك بيّنة أخرى في القرآن الكريم الذي ذكر وعد الله لليهود بدخول الأرض المباركة في قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: 21] لكنّهم رفضوا دخول الأرض حتى يخرج أهلها منها فحرّمت عليهم ما داموا على معصيتهم. [المائدة: 21 - 26] وبيّن سبحانه طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين بني إسرائيل وسكان الأرض المباركة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [البقرة: 58 - 59] والآية تبيّن حقّ اليهود بدخول القرية والإقامة فيها والتمتّع بخيراتها دون استحواذ على الأرض أو طرد لسكانها. وهذه الحقيقة توافق ما تردّد في أخبار التوراة المغيّبة عمدا لما فيها من تلميحات حول طبيعة هذه العلاقة بين داود وسكان الأرض المباركة -كما مرّ آنفا. وهي إقامة مشروطة بالتوبة والاستغفار وليست استحقاقا عرقيّا؛ ومتى كانت المغفرة محصورة بعرق دون آخر؟ ولكن، اليهود أخلفوا بالوعد فانتهى استحقاقهم للإقامة في الأرض بانتهاء الشرط الذي خوّلهم دخولها، فحرّفوا كلام الله -سبحانه- ولفّقوا رواية الوعد المزعوم وفق أهوائهم.

استخدمت الحركة الصهيونيّة مصطلح "أرض الميعاد" لحثّ يهود العالم على الهجرة إلى فلسطين كما تردّد في أقوال قادة الحركة الصهيونيّة، سواء من خلال الحملة الإعلاميّة للحركة الصهيونيّة ومؤتمراتها، أم من خلال غرس العقيدة في ذاكرة أطفالهم عبر المدارس الدينيّة أو المناهج الدراسيّة. (الديك، 2019) ومن أبرز تلك الأقوال ما صرّح به (بن غوريون) مؤسس الكيان الصهيونيّ: "إنّ الصهيونيّة الحقيقيّة لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بازل، ولا بوعد بلفور، ولا بقرارات الأمم المتّحدة 1948، ولكنّها بدأت يوم وعد الله أبانا إبراهيم وعده". (الكيلاني، 1986، صفحة 102)

إسرا ئيل: أطلقت الحركة الصهيونيّة على الكيان الصهيونيّ في فلسطين اسم "إسرا ئيل"، إحياءً للمصطلح التوراتيّ الذي يدلّ على "مملكة إسرائيل" في إشارة إلى استعادة تاريخ بني إسرائيل، وأنّ لليهود حقّ تاريخيّ في فلسطين. ولم تكن تسمية الكيان نسبة مباشرة إلى شخص "إسرائيل". يرجّح ذلك استخدام مصطلح "كنيست يسرا ئيل" أولا، ثمّ تحويله إلى الـ "يشوف" في تسمية التجمّع اليهوديّ أو كيانهم الاستيطانيّ في فلسطين قبل الاصطلاح على "إسرا ئيل". (المسيريّ، 2005) والكنيست رمز دينيّ يشير إلى المعبد اليهوديّ "بيت هكنيست"، (الديك، 2019) استخدم في (المشناة) للدلالة على مَجمَع كهنة اليهود، وهو المعبد، والمعبد مكان لإقامة الشعائر الدينيّة. ومصطلح "هيشوف" لفظ عبريّ بمعنى: جلوس، وإقامة، واستقرار، وتوطين، واستيطان... (قوجمان، 1970) وجميعها معانٍ تتعلّق بالمكان.

يعود اسم المملكة إلى بني إسرائيل الذين انتسبوا بدورهم إلى النبيّ إسرائيل وهو -وفق رواية التوراة-يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الذي صارع الإله ليلة كاملة وتغلّب عليه، فغيّر الإله اسمه من يعقوب إلى إسرائيل. (تكوين: 32: 23 – 25 // 35: 9 - 15) وهو علم مركّب مكوّن من كلمتين: "إسر" و"إيل"، وكلمة (إسر) تعني غلب أو صرع، في إشارة إلى صراع يعقوب مع الإله، (الشريف، 2017) وفسّرها بعض الباحثين بمعنى عبد أو جنديّ؛ لتتوافق مع الفكر الدينيّ. (الفرّا، 2010) وفسّر الباحثون كلمة (إيل) بمعنى إله، وهي في الغالب تشير إلى الإله "إيل" وهو كبير مجمع الآلهة الكنعانيّ، الذي تبنى العبرانيّون عبادته، وجعلوا (يهوه) ابنا له. (الباش، 1988) و(إيل) في اللغة الكنعانيّة تعني المبدع أو الخالق. (المحمود، 2023) وما يرجّح عبادة اليهود للإله "إيل" ما ورد في القرآن الكريم من عبادة اليهود (العجل)، و(الثور) كان صورة من صور "إيل" التي رمز الكنعانيون له بها. (الباش، 1988)

وهناك من يرى أن اليهود انتحلوا اسم "إسرائيل"، فقد وردت في النصوص الأوغاريتيّة، و"إسر" بلغة أوغاريت تعني (مختار) أو (نخبة)، (جاكوب، 2007) وعليه فإن مصطلح "إسرائيل" يعني نخبة الإله إيل. وقد تكرّر لفظ إسرائيل في النصوص الأوغاريتيّة المكتشفة في رأس شمرا في تسمية الذكور. وهذا يرجّح أنّ إسرائيل علم كنعانيّ انتحله العبرانيّون كما انتحلوا غيره من مكوّنات التراث الكنعانيّ. (جاكوب، 2007) (الباش، 1988) ومنهم السوميّ الذي ردّ كلمة "إسر" إلى الآراميّة بمعنى (عهد) أو (ميثاق)، ورجح أن يكون ذلك العهد أعطي لبني إسرائيل وليس لليهود، وكان مع (إيل) إله الكنعانيّين وليس مع (يهوه) كما جاء في التوراة. (السومي، 2018)

ممّا تقدّم يتّضح أنّ مصطلح "إسرا ئيل"، على العكس من الأهداف التي سعت إليها الحركة الصهيونيّة، يدحض الرواية الصهيونيّة، لما فيه من دلالة صريحة على الأصل الكنعانيّ له، ففيه كلمة (إسر) مضافة إلى اسم إله الكنعانيّين (إيل). ولو كانت رواية التوراة حقيقة لكان من الأجدر تسمية يعقوب (إسر يهوه) أو (إسر إلوهيم) وهو اسم الله -سبحانه وتعالى- في التوراة. (السومي، 2018)

لا يتعارض أصل الاسم الكنعانيّ مع القرآن الكريم الذي أكّد نزول الصحف على موسى -عليه السلام- لهداية بني إسرائيل وتخليصهم من فرعون؛ فالترحال أو انتقال القبائل كان أمرا شائعا على مرّ التاريخ، وقد ذهب بعض الدارسين أنّ بني إسرائيل قبائل كنعانيّة نزحت من الأرض المنخفضة إلى الأرض المرتفعة. (الفرّا، 2010)

وأيّا كان أصل تلك القبائل فإنّه لا ينبغي التسليم بالرواية التي ربطت بين إسرائيل ويعقوب؛ فقد ورد اسم (إسرائيل) في القرآن الكريم 43 مرّة، واسم (يعقوب) 16 مرّة، ولم يقترنا معا، ولا يوجد دلالة على وجود علاقة بين الشخصين. (الفرّا، 2010) كما أنّ التاريخ الذي تسرده التوراة لإبراهيم ويعقوب والأسباط وصولا إلى موسى -عليهم السلام- فيه الكثير من الفجوات التاريخيّة أو الأجيال المغيّبة. (سوسة، د. ت) (بيتريبرغ، 2009)

وبعيدا عن مدى صحّة الرواية الصهيونيّة، وعن أصل تسمية يعقوب بإسرائيل، فإنّ مصطلح "إسرا ئيل" الذي اختارته الحركة الصهيونيّة ليكون وطنا لليهود مصطلح دينيّ يستند إلى الرواية التوراتيّة، ويرمي إلى خلق ماضٍ لليهود في فلسطين، وصناعة ذاكرة جمعيّة تكرّس رابطة روحيّة بين اليهود والأرض، ممّا يدعم حقّهم المزعوم، ويمكّنهم من تحقيق أهدافهم في إقامة وطن لليهود على أرض فلسطين.

إسرائيل الكبرى: لم يكن الوعد المزعوم مقتصرا على أرض فلسطين وفق رواية التوراة كما يظهر في عدة نصوص منها: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"، (التكوين: 15: 18) وهذا ما جعل الطرف الصهيونيّ يسعى دائبا لتوسيع رقعة كيانه واحتلال المزيد من الأرض وترحيل أهلها، مروّجا لمصطلح "إسرا ئيل الكبرى" التي تشمل الحمّة السوريّة، وامتداد الأرض من الفرات شرقا إلى البحر الأبيض غربا، ومن الحمّة السوريّة شمالا إلى نهر النيل جنوبا. (الدقاق، 2013)

كان الصهاينة قد أعربوا عن طموحهم هذا قبل النكبة، وممّا قاله الصهيونيّ (بنتويتش) في ذلك: "لا تحتاج فلسطين المستقبل أن تحدد بحدودها التاريخيّة؛ فالحضارة اليهوديّة يجب أن تمتدّ إلى كامل منطقة الوعد، من البحر المتوسط إلى الفرات ومن لبنان إلى نهر النيل". (الريحانيّ، 1998، صفحة 86) وبناء على هذا الطموح أيضا تمّ رسم خطّ الهدنة باللون الأخضر للتأكيد أنّ "الخطّ الأخضر" لا يمثّل خطّا حدوديّا بين الطرفين.

وبعد توقيع الهدنة، وخلال زيارة لوفد من حكومة الكيان لملك الأردن في الشونة عام 1949 قدّم الوفد هديّة لملك الأردنّ، وهي عبارة عن نسخة جيب من التوراة، وفي الصفحة الأولى خريطة لـ "إسرا ئيل" تشمل منطقة الوعد. (التلّ، 1990) وما زالت خريطة تلك المنطقة تظهر في نقش على إحدى مسكوكات عملة الكيان الصهيونيّ المعدنيّة (فئة 10 أغورات) منذ عام 1985 ممّا يؤكّد عزم الطرف لصهيونيّ على احتلال ما بقي من الأرض، وقد نبّه على ذلك الرئيس الراحل عرفات في قمّة بغداد 1990. (أبو عون، 2023)

لقيت المصطلحات التوراتيّة "أرض إسرا ئيل" أو "أرض الميعاد" أو "الأرض المقدّسة"... التي روّج لها الطرف الصهيونيّ رواجا عالميا رغمَ أنّها لم تكن منتشرة قبل قيام الحركة الصهيونيّة، وظلّت محصورة بين اليهود أنفسهم قبل أن تهيّء لها حكومة الانتداب البريطانيّ الظهور. بينما عرف مصطلح فلسطين أو (فلستيا) أو أحد مشتقاته قبل قيام الكيان الصهيونيّ، وكان هو المعتمد رسميّا زمن الانتداب، (الشريف، 2017) مع وجود الأدلّة القاطعة على وجوده، ووروده في التوراة نفسها.

وقد مكّنت هذه المصطلحات الطرف الصهيونيّ من تحاشي استخدام مصطلحي "فلسطين" و"أرض كنعان" اللذين ينسفان الأساس الذي قامت عليه الادّعاءات الصهيونيّة؛ لما يحملانه من دلالات على الوجود التاريخيّ غير اليهوديّ في فلسطين. (الشريف، 2017) وهيّأت للحركة الصهيونيّة إظهار الصلة التاريخيّة التي تربط يهود العالم بأرض فلسطين. (الشريف، 2017)

دولة اليهود/ دولة عبريّة: استند اليهود في هذين المصطلحين إلى الرواية الصهيونيّة التي دعت إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، فأطلق المصطلحان لوصف الكيان الصهيونيّ على اعتبار أنّ فلسطين حقّ لليهود دون سواهم، وإنكار الوجود غير اليهوديّ في فلسطين أو إنكار حقّ العرب فيها، فهي دولة لليهود ولغتها لغتهم العبريّة.

ينطوي المصطلحات على جحود تاريخيّ وخطأ ثقافيّ؛ فهما ينكران وجود العرب وغير اليهود في فلسطين من جهة، ويمنح مصطلح "دولة يهوديّة" من اليهوديّة سمة قوميّة، كما يفترض مصطلح "دولة عبريّة" أنّ هناك ثقافة عبريّة، وحضارة عبريّة، وهو أمر مجانب للحقيقة. (المسيريّ، 2005)

الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة: تواصلت محاولات الطرف الصهيونيّ والدول الاستعماريّة الحاضنة له لمحو اسم فلسطين بعد النكبة وقيام الكيان الصهيونيّ في الأراضي المحتلّة عام 1948. ولتجنّب استخدام اسم فلسطين بعد توقيع اتفاقيّة الهدنة بين الطرفين (العربيّ والصهيونيّ)، تمّ تقسيم فلسطين إلى ثلاث وحدات إداريّة: الأراضي الخاضعة لسلطة الاحتلال الصهيونيّ وأطلق عليها الطرف

الصهيونيّ اسم "إسرا ئيل"، بينما أطلق عليها الطرف العربيّ "الأرض المحتلّة" أو "أراضي الـ 48"، وأراضي "الضفّة الغربيّة" التي وضعت تحت وصاية المملكة الأردنيّة وأصبحت تابعة لها إداريًا، وأراضي "قطاع غزّة" الذي تشرف على إدارته جمهوريّة مصر العربيّة. فدرجت تلك المصطلحات: (الأراضي المحتلّة، والضفّة الغربيّة، وقطاع غزّة) مكان مصطلح "فلسطين" في التداول وخاصّة في المعاملات الرسميّة.

مناطق (أ، ب، ج) أو (A, B, C): من المصطلحات التي ظهرت بعد "أوسلو"، ويشير المصطلح إلى تقسيم أراضي "السلطة الفلسطينيّة" إلى "مناطق أ، و"مناطق ب، و"مناطق ج"، ويترتّب عليها تحديد نوع السيادة في كلّ المنطقة وفق اتفاقية أوسلو. (فارس، عوني، وساري عرابي، 2017)

ينبني على هذه التسميات تكريس واقع التقسيم المفروض على فلسطين، وتجزئة المشكلة بدلا من حلّها؛ فمناطق (أ) لها ترتيبات تختلف عن (ب) أو (ج)، وكلّ منطقة بحاجة لجولات من التفاوض. ومنح الطرف الصهيونيّ فرصة للتواجد في المنطقة كلّها لفرض سلطته على الأرض بحكم التداخل بين تلك المناطق. كما تمنحه فرصة لتجنّب استخدام مصطلح "الأراضي المحرّرة" الذي يتعارض مع روايته. وهي بذلك مصطلحات تشوّه الحقيقة، وتجرّد المكان من ثقافته وتاريخه، وتفرض على المواطنين قيودا جديدة تحول دون التنعّم بالحريّة المنشودة، وتعيق حركتهم ومظاهر حياتهم كلّها.

مناطق السلطة الفلسطينيّة: بعد اتفّاقيّة "أوسلو" التي كان مقرّرا بموجبها قيام دولتين: فلسطينيّة وإسرا ئيليّة، لم يعترف الطرف الصهيونيّ بمصطلح "فلسطين" دولةً للفلسطينيّين ولو على جزء يسير من أراضيها وفق الاتّفاق. واستخدم بدلا منه مصطلح "السلطة الفلسطينيّة" في إشارة إلى المناطق التابعة إداريًا للفلسطينيّين بموجب "أوسلو" لحين الانتهاء من ترتيبات إقامة الدولة الفلسطينيّة. (فارس، عوني، وساري عرابي، 2017)

مصطلح "السلطة الفلسطينيّة" مشترك بين الطرفين، ولكن في لغة الخطاب أضاف الطرف العربيّ كلمة (الوطنيّة)، ودرج على نطاق محليّ مصطلح "السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة"، ولكن في المعاملات الرسميّة الدوليّة مثل (جواز السفر، والهوية الشخصيّة) بقي دون كلمة (الوطنيّة) التي تتعارض مع ادعاء الطرف الصهيونيّ بأنّ فلسطين وطن لليهود وحدهم لا ينبغي أن يشاركهم فيه أحد. وما زال مصطلح "السلطة الفلسطينيّة" متداولا عند الطرف الصهيونيّ والدول الداعمة له بعد استبدال الفلسطينيّين به مصطلح "دولة فلسطين"؛ لأنّ هذه لدولة لم تحظ باعتراف الطرف الصهيونيّ بعد. وفي ذلك دلالة على أنّ الطرف الصهيونيّ هو صاحب السيادة الفعليّة على الأرض، ويقتصر الدور الفلسطينيّ على إدارة الأحوال المدنيّة المحليّة في مناطق السلطة الفلسطينيّة، فقيام سلطة فلسطينيّة لا يعني وجود دولة للفلسطينيّين وإنّما مجرّد حكم ذاتيّ للفلسطينيين في ظلّ الدولة اليهوديّة.

يهودا والسامرة: لم يكتف الطرف الصهيونيّ بقيام كيانه على أراضي 48 بل واصل خطّته في فرض روايته على الأرض كلّها. فبعد الاصطلاح على تسمية كيانه في الأراضي المحتلّة "إسرا ئيل" أطلق على أراضي "الضفّة الغربيّة" باستثناء القدس الشريف مصطلح "يهودا والسامرة". (فارس، عوني، وساري عرابي، 2017) وهما اسمان توراتيّان؛ يعود مصطلح "السامرة" إلى مملكة اليهود الشماليّة التي قامت في أراضي نابلس وطولكرم. ويعود مصطلح "يهودا" إلى مملكة اليهود الجنوبيّة في أراضي الخليل وبيت لحم والقدس. (ساند، 2018)

وممّا يذكر أن مملكتي يهودا والسامرة -إن صحّت الرواية- لم تشملا المنطقة التي يدلّ عليها المصطلح الحديث، وإنّما كانت تلك الممالك مقامة على أجزاء محدودة من أراضي المحافظات الحاليّة. وكانت مملكة يهودا تشمل أراضي القدس ولكن لأسباب سياسيّة فصلت القدس عن منطقة يهودا في المصطلح الحديث.

يدلّ المصطلح على رفض الطرف الصهيونيّ للوجود الفلسطينيّ، وطيّ صفحات عديدة من تاريخ المنطقة لإحياء التاريخ الغابر لمرور بني إسرائيل العابر فيها وفق الرواية لتوراتيّة.

1: 2 تسمية التجمّعات السكانيّة والمواقع الجغرافيّة

استكمالا لسياسة الطرف الصهيونيّ في تهويد المنطقة، وفرض روايته على الأرض للبحث عن جذور تربط اليهود بها، أو لخلق ماضٍ وذاكرة لليهود فيها... بدأت الحركة الصهيونيّة منذ صدور وعد بلفور بإنشاء تجمعات سكانيّة لليهود في فلسطين تحمل أسماء وردت في التوراة تتوافق أو تقترب صوتيًا مع أسماء الخرب والقرى الفلسطينيّة التي رصدتها حملة "استكشاف فلسطين" (1871 – 1877). (الديك، 2019) وعندما أصدرت بريطانيا أوّل معجم جغرافيّ للمنطقة عام 1936، طالبت الهيئات اليهوديّة تغيير أسماء المدن والقرى العربيّة وإدراج الأسماء التوراتيّة القديمة في المعجم بدلا منها، لكن سلطات الانتداب رفضت ذلك تجنّبا لفتح جهة جديدة للصراع بين الطرفين، لكنّها سمحت بإضافة أسماء التجمعات السكانيّة التي أنشأتها الهيئات اليهوديّة. (بنفنيستي، 2001) وفي عام 1944 قامت الحركة الصهيونيّة بإصدار خريطة لفلسطين تحمل الأسماء العبريّة للمواقع الفلسطينيّة بدلا من أسمائها المتداولة بين الفلسطينيّين، وطالبت باعتماد تلك الأسماء المستحدثة عالميًا في مؤتمر جنيف لتوحيد المصطلحات عام 1967. (عبد الكريم، 2001)

وخلال معركة 1948 رافق عمليات طرد الفلسطينيّين واحتلال أرضهم عمليّة طمس الأسماء العربيّة للمدن والقرى والينابيع، والجبال ... سواءً من خلال عبرنة الأسماء ذات الأصول العبريّة -وفق زعمهم- أم بعبرنة كل اسم عربيّ لتشابه صوتيّ مع كلمة عبريّة، أم باستبدال الأسماء والمصطلحات التوراتيّة بها –كما سيأتي لاحقا.

استكمل الكيان الصهيونيّ عمليّة طمس الأسماء العربيّة بعد النكبة فأعاد تسمية المدن أو القرى التي احتُلت، أو دمّرت وأعيد تكوينها، بإحياء الأسماء التوراتيّة التي كانت مقامة على أنقاضها أو قريبة. (الديك، 2019) انجزت هذه المهمّة بمساعدة خبراء بعلم الآثار والعلوم التوراتيّة الذين تطوّعوا للعمل في لجنة التسميات الرسميّة، وهي امتداد لهيئة قديمة تشكّلت عام 1920 بهدف إطلاق أسماء عبريّة على الأراضي التي استولى عليها اليهود سواء من خلال الشراء أم ما منحته لهم سلطات الانتداب البريطانيّ من الأراضي الحكوميّة، فأقاموا تجمّعات سكانيّة لليهود فيها. (بابيه، 2007)

وفي هذا المجال نبّهت الدراسات العلميّة إلى حقيقتين: أحداهما أنّ المصطلحات التي وضعتها اللجنة لتسمية الأماكن لم تكن علميّة بحتة، بل كانت أيديولوجيّة؛ نتيجةً لبعد العهد بينها وبين التاريخ الشفويّ للمنطقة، فكان من الصعب تحديد المواقع الجغرافيّة بدقّة. (بابيه، 2007) والأخرى خلافا لما ذهب إليه الطرف الصهيونيّ الذي دأب على انتحال الحضارات وتزوير الحقائق فإن معظم أسماء الأماكن الواردة في التوراة ليست عبريّة، بل هي كنعانيّة كانت قائمة قبل دخول اليهود إلى فلسطين، فاليهود سكنوا المدن ولم ينشئوها. (مرقطن، 2020)

وفيما يلي نماذج مختارة من تلك الأسماء بدءا بالأسماء التي استبدلوها بالأسماء القائمة للمدن الفلسطينيّة:

أورشليم: المصطلح الذي استخدمه الطرف الصهيونيّ للدلالة على مدينة القدس. وقد عرفت القدس على مرّ التاريخ بأسماء عديدة منها (أور شاليم، ويبوس، وأريئيل، وإيلياء)، وحملت منذ الفتح الاسلاميّ اسم "بيت المقدس" أو القدس، فأعاد الطرف الصهيونيّ اسمها الكنعانيّ "أور شليم" مدّعيا أنّه اسم توراتيّ بلفظه العبري "يروشلايم". (عرّاف، 2004)

يعود مصطلح "أور شليم" إلى الكنعانيّين إذ ارتبط تاريخ القدس بالملك الكنعانيّ (ملكي صادق). فهو أوّل من اختطّ المدينة، وكان موقعها إلى الجنوب من موقع المدينة الحاليّة. (الآباء، 1890) و(ملكي صادق) كان كاهنا انتقل إلى جبال القدس وأقام في أحد كهوفها، فقدم عليه الملوك وأحبّوا كلامه لما فيه من دعوة إلى السلام، ثمّ طلبوا منه أن يختطّ المدينة، وجعلوه ملكا عليها وكنوه بـ "أبي الملوك". (الحنبلي، 1973) وممّا جاء في التوراة حوله: "وملكي صادق، ملك شاليم، أخرج خبزا وخمرا. وكان كاهنا لله العلي". (التكوين: 14: 18)

ثمّ زاد الملك (سالم) في بنائها، وبنى برجا في جبل صهيون ليكون حصنا لليبوسيّين. وعندما تغلّب بنو إسرائيل على الكنعانيّين سكنوا القدس مع اليبوسيّين، وعرفت المدينة باسمها الكنعانيّ (أورو – سالم)، إلى أن استولى داود على حصن صهيون واتّخذه مدينة له عرفت في التوراة باسم "مدينة داود". (الآباء، 1890)

أجمعت الدراسات أنّ "أورشاليم" علم مركب من كلمتين: (أور) و(شاليم) أو (سالم). وذهب معظم الدارسين إلى الربط بين اسم المدينة وبانها (ملكي صادق) الذي كان محبّا للسلّام ولقّب "ملك السلام"، ومنه جاء الاسم: (أور) بمعنى مدينة، و(سالم/ شاليم) بمعنى (السلام). وقيل إنّ أصلها "أورت شاليم" بمعنى (إرث سالم) نسبة إلى الملك سالم. وقيل "يُري شاليم" أي (يرى السلام). وأعادت الرواية الصهيونيّة (أور) إلى المعجم العبريّ بمعنى (النور) أي (نورٌ وسلام). (الآباء، 1890)

وأعاد الماجديّ المصطلح إلى الإله الكنعانيّ (شاليم) أو (ساليم) وهو أحد أبناء (إيل) ورمزه نجم المساء الذي يظهر مع الشفق قبل الغروب، وفسّر الاسم بـ (مدينة الإله شاليم) أو (نور شاليم)، وبنى نظريته على الربط بين عبادة (شاليم) في القدس وضواحيها حيث تجسّد في نجمة بيت لحم، إلى جانب العلاقة اللفظيّة بين كلمة (ساليم) الاسم مع (التسليم) بمعنى الوداع والموت لعلاقة الوداع والموت بالغروب، فضلا عن دسّ الصهاينة اسم (شاليم) في اسم أحد أبناء سليمان (أبشاليم)، وبحثهم عن هيكل سليمان المزعوم في القدس؛ لافتراض وجود بيت أو معبد لهذا الإله، وإمكانية تحريف اسم شاليم إلى سليمان للتشابه بين رمز صوتي السين والشين في النقوش الكنعانيّة. (الماجدي، تاريخ القدس القديم، 2017)

بالنظر إلى حقيقة الخلط بين الملوك والآلهة، والأنبياء والملوك في الروايات الشفويّة للتاريخ القديم- غالبا لأسباب دينيّة- رجح الباحثان نظريّة الماجديّ في نسبة المدينة إلى الإله (سالم) أو (شاليم)؛ وذلك لقداسة المدينة منذ نشأتها، واستمرار قداستها في مختلف الأديان والمعتقدات. وهذه القداسة لا بدّ أن تكون نابعة من ارتباط المدينة بفكر دينيّ سامٍ وليس بملك بشريّ قد يكون له نظير في الممالك الأخرى. وممّا يدعم ذلك الرأي أنّ (ملكي صادق) كان كاهنا، والكهنة ارتبطوا بالآلهة، وكانوا وسطاء بين الآلهة والبشر، فعلى الأرجح أنّه كان كاهنا في بيت الإله (شاليم) وبنى المدينة لعبادته.

وما يعزّز القول بارتباط اسم المدينة بالإله "شاليم" استخدام اليهود له؛ فقد تبنى بنو إسرائيل عبادة آلهة الكنعانيّين، كما أكّد ذلك القرآن الكريم في قصّ طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدوه في قوله تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إسرائيل الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾، [الأعراف: 138] ولما

غاب عنهم موسى عبدوا العجل، وفي ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾، [البقرة: 92] والعجل صغير الثور، والثور كان رمزا من رموز (إيل)، وصورة من صور (بعل) الذي تحوّل اليهود إلى عبادته بعد إيل، (الباش، 1988) قال تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾. [الصافات: 125] إضافة إلى وصف القدس بأنّها "مدينة داود" نسبة إلى حصن صهيون الذي استولى عليه داود من اليبوسيّين، وانتحالهم النجمة الكنعانيّة ونسبتها إلى داود أيضا "نجمة داود"، والنجمة رمز للإله (شاليم).

وأيّا كان معنى الاسم ومصدره، فهو سابق لوجود اليهود في فلسطين، بدليل وروده في نصوص "اللعنات المصريّة" التي تعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد.[1] وفي ذلك حجّة قاطعة على أنّه اسم قديم قدم المدينة ولا علاقة لليهود به، كما لم يكن لهم علاقة بتسمية غيرها من مدن كنعان. (السواح، 1989)

شخيم: استخدم الطرف الصهيوني هذا المصطلح للدلالة على مدينة نابلس. ونسبته إلى خربة (شكيم) مدّعين أنّه اسم توراتيّ. بلفظه العبريّ "شْخيم". (عرّاف، 2004) و"شكيم" مدينة كنعانيّة قديمة تعود إلى العصر الحجريّ، دمّرت وأعيد بناؤها عدّة مرّات، وما زالت آثار المدينة القديمة ماثلة في خربة "شكيم" في تلّ بلاطة المجاور لمدينة نابلس الحاليّة، والاسم يعني (الأرض المرتفعة) نسبة لطبيعة لمنطقة التي أقيمت فيها. (السواح، 1989)

ورد اسم "شكيم" في مراسلات ملوك فلسطين إلى فرعون يشتكون فيها من تصرفات قبائل "الخبيرو" واعتداءاتهم المتكرّرة على الكنعانيّين، (السواح، 1989) كما ذكر في نصوص "اللعنات" المصريّة. (السواح، 1989) ممّا يدلّ على قدم المدينة وتسميتها. وهو ما تؤكّده نصوص التوراة نفسها؛ فقد ورد أنّها أوّل مدينة كنعانيّة نزل فيها إبراهيم بعد هجرته من أور: "واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شَكِيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيّون حينئذ في الأرض"، (التكوين: 12: 6) وفيها نزل يعقوب: "ثم أتى يعقوب سالما إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان". (التكوين: 33: 18) وفي كلّ ذلك تأكيد على أنّ اسم "شكيم" كنعانيّ، وليس عبريّا كما يحاول الطرف الصهيونيّ تصويره.

إلى جانب إحياء الأسماء الكنعانيّة للمدن الفلسطينيّة التي ذكرت في التوراة وما زالت قائمة، مثل أورشليم/ القدس، وشكيم/ نابلس، ومثلهما بيت شان/ بيسان، وبير شيفع/ بئر السبع، وحبرون/ الخليل، ويافو/ يافا... قام الطرف الصهيونيّ بإقامة تجمعات سكانيّة فوق الأراضي الفلسطينيّة المغتصبة وأطلق عليها أسماء الخرب التي تحمل أسماء مدن قديمة ورد ذكرها في التوراة، ومنها:

إيلات: نسبة إلى (عقبة أيلة/ أيلا). (عرّاف، 2004) وهي مدينة كنعانيّة قديمة آثار قائمة قرب قرية أمّ الرشراش التي أقيمت إيلات مكانها بعد تهجير أهلها وتدميرها عام 1948. وقد ادّعى اليهود أنّ "أيْلة" اسم عبريّ أطلق على مدينة بناها اليهود، ويعني (شجرة البطم) لانتشار أشجار البطم فيها، موهما بذلك أنّ القرية التي تحمل اسم "أيلة" قرية عبريّة. ولإقناع العرب بالأصل العبري للكلمة ترجم بعض أسماء الأماكن التي تتضمّن كلمة (بطم) إلى العبريّة، فوادي البطمة سمّاه "إيلا"، ووادي البطم "إيلوت" أو "هئيلوت"، (عرّاف، 2004) أمّا وادي "أمّ بطمة" فحرّف اللفظ العربيّ إلى "بتوميم". (عرّاف، 2004)

وكلمة (أيْلة/ إيلة) تعود إلى اسم الإلهة الكنعانيّة (إيلات) وهو من ألقاب (عشيرة) زوجة إيل، (الماجدي، الآلهة الكنعانيّة، 1999) ومعناه الفتنة والنفوذ والسحر واللعنة. (المحمود، 2023) ولا تناقض في تلك المعاني التي تشير إلى اختصاص الإلهة وقدراتها وفق المعنى الكنعانيّ (مؤنث إيل)، وغالبا إلى صورتها وفق المعنى اللغوّي (شجرة البطم باللغة الآراميّة) نظرا لقداسة شجرة البطم عند الكنعانيّين، وحلول روح الآلهة أحيانا في الشجر في المعتقدات القديمة، ومن ذلك الإلهة "عشيرة" التي تبنى اليهود عبادتها ووضعوا لها تمثالا في الهيكل على شكل جذع شجرة "السارية". (السواح، 1989) (الماجدي، الآلهة الكنعانيّة، 1999)

بالعودة إلى النصوص التي ذكرت فيها مدينة (أيْلة) في التوراة ما يرجّح أنها مدينة قديمة لم يكن لليهود دور في بنائها؛ فبينما ذكر أنّ عزيّا ملك يهوذا بنى أيلة في العبارة: "هو بنى أيلة وردها ليهوذا". (أخبار الأيّام الثاني: 26: 2) فإنّ كلمة ردّها تدلّ على أنّها كانت قائمة من قبل. وجاء في أخبار سليمان- وملكه أسبق من ملك عزيّا-: "حينئذ ذهب سليمان إلى عصيون جابر، وإلى أَيْلَةَ على شاطئ البحر في أرض أدوم". (الملوك الثاني: 8: 17) فسليمان ذهب إليها ولم يبنها. وجاء في موضع آخر أنّ ملك آرام أعاد المدينة للآراميين في الآية: "في ذلك الوقت أرجع رصين ملك أرام أيلة للأراميّين، وطرد اليهود من أيلة. وجاء الأراميون إلى أيلة وأقاموا هناك إلى هذا اليوم". (الملوك الثاني: 16: 6) فالفعل أعاد يؤكّد أنّ المدينة لم تكن يهوديّة بل أقام بها اليهود غصبا واحتلالا.

بيت إيل: أطلق المصطلح على مستوطنة أقامها الطرف الصهيونيّ فوق أرض قرية "بيتين" الفلسطينيّة، على مقربة من خربة "بيت إيل" القديمة. (عرّاف، 2004) و"بيت إيل" اسم توراتيّ (كنعانيّ) انتحله اليهود حيث ورد في التوراة أنّ يعقوب هو من أطلق اسم "بيت إيل" على مدينة كنعانيّة كانت تدعى "لوز"، إثر رؤيا له تتعلّق بالمدينة، فبينما كان نائما فيها رأى ملائكة تصعد سلّما إلى السماء، ولمّا قام من نومه قال في نفسه: "حقّا إنّ الربّ في هذا المكان [...] ما هذا إلا بيت الله، هذا باب السماء"، فغيّر اسمها إلى "بيت إيل". (التكوين:

(1) اللعنات أدعية بالشرّ كانت تكتب على جرار فخاريّة، يذكر فيه اسم الملك أو المدينة أو الشخص... وتكسر لجلب الشرّ له.

28: 12 - 19) ويتّضح من خلال الإضافة إلى (إيل) في المصطلح أنّ الاسم كنعانيّ؛ فلو صحّت الرواية لأطلق يعقوب عليه اسم "بيت يهوه" وليس "بيت إيل". (السومي، 2018)

ولم يلتزم الطرف الصهيونيّ بالنهج العلميّ في تحديد المواقع الجغرافيّة للمدن القديمة، فكثيرا ما أُطلقت أسماء قديمة بسبب التحديد الخاطئ للموقع، أو مع العلم بأنّه موقع مختلف عن الموقع التوراتيّ، ومثال ذلك:

يّفْنة: أنشئ كيبوتس دينيّ باسم "يَفْنة" أو "يِفْنيه" عام 1941 رغم علم اليهود بالموقع الصحيح للمدينة، وهي قرية "يِبْنا" أو "يُبنى" الفلسطينيّة؛ (عرّاف، 2004) فكان هدفهم من اختيار الاسم إثبات أنّ اليهود هم ورثة المكان وليس الفلسطينيّين الذين يقيمون في القرية. وبعد احتلال قرية يبنا وتهجير أهلها عام 1949، أطلق اليهود الذين سكنوا القرية عليها اسم يفنة، ممّا أثار خلافا مع سكان كيبوتس يفنة السابق. (بنفنيستي، 2001)

بالعودة إلى ذكر يفنة في أسفار التوراة نجد أنّها مدينة فلسطينيّة قديمة استولى عليها بنو إسرائيل بعد محاربتهم للفلسطينيّين كما جاء في النصّ: "وخرج وحارب الفلسطينيّين وهدم سور جت وسور يَبْنَةَ وسور أشدود"، (أخبار الأيّام الثاني: 26: 6) فلم تكن مدينة يهوديّة وإن ذكرت في التوراة.

وفي نقل التسمية من مكان إلى آخر شهادة للأديب العبريّ (إسحاق لاؤور) جاء فيها: "عندما كنت طفلا في برديس حنة، أطلقوا على منطقتنا اسم "شومرون". عندما سألت أبي عنها قال لي: إنّها لم تعد عندنا (كان ذلك في الخمسينات) وإنّها بقيت في الأردن، لذلك نسمي منطقتنا باسمها". (غنايم، 2001، صفحة 30) و"شومرون" التي يشير إليها هنا هي منطقة سبسطية شمال نابلس، إذ يطلق الكيان الصهيونيّ عليها اسم خربة "شومرون" وتعني الحرّاس، وهي وفق ادّعائهم مكان مدينة السامرة القديمة. (يعقوب، د. ت) وفي عام 1977 أقيمت هناك مستوطنة صهيونيّة أطلق عليها اسم "شافي شومرون" أي (العودة إلى شومرون). (المرداويّ، 2016)

ومن باب تهويد المكان أيضا، أطلق الطرف الصهيونيّ أسماء مدن توراتيّة لا علاقة لها بفلسطين على بعض التجمّعات السكانيّة المستحدثة. وعندما لم يجدوا اسما توراتيّا للمكان اختاروا اسم شخصيّة توراتيّة، أو جملة غنائيّة من التوراة، أو اسما ذا دلالة رمزيّة توراتيّة. (بنفنيستي، 2001) وفيما يلي نماذج من الأمثلة على سياسة تهويد المكان وربطه بالتاريخ اليهودي:

براخا: أطلق على مستوطنة صهيونيّة في نابلس، وتعني بالعبريّة (مباركة أو بركة)؛ لاعتقاد اليهود أنّ جبل جرزيم المقامة عليه حلّت عليه البركة في حين حلّت اللعنة على عيبال. (المرداويّ، 2016)

تل أبيب: مدينة حديثة أنشأها الكيان الصهيونيّ إلى جانب مدينة يافا الفلسطينيّة، وأطلق عليها اسم "تل أبيب– يافا"، رغم أنّ اسم "تل أبيب" الذي ذكر في التوراة لا يعود لمدينة فلسطينيّة بل مدينة عراقيّة قديمة ويعني (تلّ السنابل)، ويعرف مكانها اليوم باسم (تلّ أبان)، أقام بها اليهود بعد السبي البابليّ، (الفاروقي، 1988) ذكرت في النصّ: "فجئت إلى المسبيّين عند تَلِّ أَبِيبَ، الساكنين عند نهر خابور". (حزيقال: 3: 15)

حومش: أطلق على مستوطنة في محافظة جنين، بمعني (الخمسة) نسبة لخمسة قرويّين ادّعوا أنّهم سكنوا في المنطقة زمن المشناة التلموديّ. (المرداويّ، 2016)

متساد شمعون: أطلق هذا المصطلح على مستوطنة في الخليل، بمعني (قلعة شمعون) تيمنا بشمعون سبط يعقوب الذي حارب الكنعانيّين مع أخيه يهوذا: "وذهب يهوذا مع شمعون أخيه وضربوا الكنعانيين سكان صفا وحرموها..." (القضاة: 1: 17) إذ ادّعى الصهاينة أنّه عسكر في منطقة قريبة من المكان الذي أقيمت فيه المستوطنة. (المرداويّ، 2016)

واستكمالا لحلقات تهويد المكان لجأ الطرف الصهيونيّ إلى استخدام أسماء شخصيّات يهوديّة معاصرة، أو شخصيّات صهيونيّة ساهمت في إقامة الكيان الصهيونيّ، في تسمية الأماكن، سواء من السياسيّين أم العسكريّين أم من قتلوا في الحرب. (بنفنيستي، 2001) (الديك، 2019) ومن الأمثلة على ذلك:

أرجمان: أطلق على مستوطنة في محافظة طوباس، وهو اسم منحوت من الحروف الأولى لاسمي شخصيّتين من قوات الاحتلال الصهيونيّ (آريه رجب) و(جاد منلة) قتلا في المنطقة. (المرداويّ، 2016) ومستوطنة "متساد زئيف" في القدس، نسبة إلى (زئيف جابوتينسكي) أبرز مؤسسي الحركة الصهيونيّة. (المرداويّ، 2016)

بلفوريا: أطلق على مستوطنة في سهل مرج ابن عامر، نسبة إلى (بلفور) صاحب الوعد المشؤوم عربيّا، لدوره في تحقيق أطماع اليهود في فلسطين. كما أطلق اسمه على شارع في "تلّ أبيب" أيضا.

لم يقتصر الطرف الصهيونيّ على إطلاق المصطلحات التوراتيّة على الأماكن والمواقع الجغرافيّة بل لجأ إلى عبرنة الأسماء القائمة بتحريف الأسماء العربيّة لتوافقها الصوتيّ مع اللفظ العبريّ، سواءً أكانت تحمل المعنى نفسه أم بتغيير المعنى، أم بتجريد الاسم من المعنى. (بنفنيستي، 2001) (الديك، 2019)

ومن أمثلة على تحريف الأسماء العربيّة تغيير اسم خربة "أم البصل" (نسبة إلى نبات البصل بالعربيّة) إلى "بتصل" أو "بتسلوت" أي البصل بالعبريّة. (عرّاف، 2004) وجبل "الخروف" أطلق عليه من باب التشابه الصوتيّ فقط مصطلح "حريف"؛ فكلمة خروف بالعربيّة تعني صغير الغنم، سميّ الجبل به لارتفاعه في المكان بلونه الأبيض الذي يشبه لون الخروف، وارتباطه بالصيادين وجامعي الأغذية كما تدلّ آثاره. أمّا "حريف" فتعني (الحارّ) ولا تحمل دلالة ثقافيّة. (عرّاف، 2004) وتلّ "أبو هريرة" المنسوب إلى الصحابيّ الجليل أبي هريرة، أطلق عليه اسم تل "هرور"، ولا معنى له بالعبريّة وإنّما من باب التشابه الصوتيّ فقط. (عرّاف، 2004)

ثانيا: موقف الطرف العربيّ من تسمية المكان وعبرنته

في الوقت الذي سعى فيه الطرف الصهيونيّ جاهدا للبحث عن مصطلحات لتغيير أسماء الأماكن في فلسطين، لم يعر الطرف العربيّ اهتماما لهذا الجانب، ولم يكن عنده سبب لإعادة تسمية الأماكن؛ فهو ابن الأرض الذي يعيش الواقع الملموس، ولا حاجة عنده لإثبات الحقيقة الماثلة أمام الجميع، وجاءت روايته لتكريس هذه الحقيقة كما هي دون تغيير.

كانت العلاقة بين العربيّ والمكان علاقة إيجابيّة، وهو أمر بدهيّ درج عليه الإنسان منذ الأزل؛ فهو يتفاعل مع المكان الذي يعيش فيه، ويضفي عليه رؤيته ومشاعره الخاصّة لارتباطه بذكرياته ومواقف مختلفة من حياته. ومن هنا فقد كان للفلسطينيّين مصطلحاتهم الخاصّة في تسمية الأماكن التي ترتبط بمواقف خاصّة، أو التي لا يعرفون لها اسما، أو القرى المستحدثة. وكانت تلك المصطلحات تنسجم مع قواعدهم في التسمية، سواء بنسبة المكان إلى شخص، أو حدث معيّن، أم بعبارات وصفيّة لطبيعة المكان أو النشاط فيه، أو بوصف يعكس شعورهم تجاه ذلك المكان. (بنفنيستي، 2001)

ولم يكن من عادة المسلمين عند فتحهم لبلاد جديدة تغيير الأسماء إلا إذا كانت متعارضة مع القيم الإسلاميّة كأن يكون فيه إشارة إلى شرك أو إلحاد. فبعد فتح المسلمين لمدينة القدس وكانت حينها تدعى "إيلياء" كما جاء في العهدة العمريّة، وهو اختصار لاسم "إيليا كابوتلين" الذي أطلقه عليها الملك الرومانيّ أدريانوس، مشيرا به إلى تمثال المشتري أو (جوبيتر) في روما. (الآباء، 1890) وذكر الحمويّ أنّ كلمة إيلياء تعني (القصر) أو (بيت الله)، وسميّت نسبة إلى بانيها (إيلياء بن إرم بن سام بن نوح). (الحموي، 1990) ويبدو من خلال اللفظ أنّه مرتبط بالإله "إيل" الذي اقترن بأسماء كثيرة في فلسطين. ولمّا كره المسلمون ارتباط اسم مدينة القدس بالمعتقدات الوثنيّة غيّروا الاسم لينسجم مع ديانة التوحيد، ومكانة المدينة في الفكر الإسلاميّ.

اصطلح المسلمون على تسمية القدس بوصفها الشائع بينهم، وهو "بيت المَقْدِس" أي المنزَّه، أو "البيت المُقَدِّس" أي المطهِّر لأنّه يطهّر من يزوره من الشرك، ثمّ اختصر إلى القدس وهي لغة من بيت المقدِس. (الحموي، 1990) وفي العصر العثمانيّ أضيف وصف الشريف لاسمها "القدس الشريف" تكريما لها. (المصري، 2023) وهو المصطلح الذي كان الرئيس الفلسطينيّ الراحل (الشهيد ياسر عرفات) يستخدمه كما جاء في خطاباته في المدن الفلسطينيّة بعد اتفاقيّة أوسلو، متحديّا به مشيئة الاحتلال، ومن ذلك قوله: "واقول عاصمتها القدس الشريف شاء من شاء وأبى من أبى". (خطاب السيد الرئيس في المدن المحررة، 1996)

أمّا الأسماء التي لا تتعارض مع القيم الإسلاميّة فبقيت وفق الاسم الذي كانت عليه عند الفتح الإسلاميّ، مثل الاسم اليونانيّ لمدينة "نابلس" والعديد من أسماء القرى والبلدات والمعالم المختلفة.

لكن الحقيقة المؤسفة أنّ العرب الذين حافظوا على الكثير من أسماء الأماكن القديمة كما هي أو بتحريف بسيط، أملته الخصائص الصوتيّة للغة العربيّة، لم يحافظوا على تاريخ تلك الأماكن مع تلك الأسماء، فكانوا في الغالب يجهلون معاني الأسماء أو مصادرها. وعندما بدأت "جمعيّة استكشاف فلسطين" رفضوا التعاون معها أو تقديم روايتهم الشفويّة حول الخرب وأسماء القرى والمدن القديمة للبعثة؛ لاعتقادهم في حينه أنّ "الفرنجة كانوا يعرفون الأسماء القديمة أفضل منهم". (بنفنيستي، 2001، صفحة 55) وما كان لدى بعض الفلسطينيّين من أبحاث أو وثائق فقد تمّ تدمير أكثره خلال المعرك. وعندما شكّلت حكومة الانتداب البريطانيّ لجنة لمسح المكان عام 1946 رفض أهل القرى والبلدات الفلسطينيّة التعامل معها ممّا أدى إلى ضياع الكثير من المعلومات حول القرى والأماكن الأثريّة، وساعد على إثبات الأسماء التي أملاها اليهود في حينه أو استبدلوها لاحقا بعد تدمير القرى الفلسطينيّة وتهجير المواطنين. (بنفنيستي، 2001)

رفض الطرف العربيّ استخدام الكثير من المصطلحات الصهيونيّة، لا سيّما تلك التي تكرّس الرواية الصهيونيّة وتسلب العرب حقّهم في وطنهم مثل "إسرا ئيل"، و"الأراضي المتنازع عليها"، و"جبل الهيكل"، و"حائط المبكى"... وتمسّكوا بالمصطلحات المقابلة لها مثل: "فلسطين" و"الأراضي المحتلّة"، و"جبل بيت المقدس" أو "الموريّا"، و"حائط البراق"...

وعندما أحيا الطرف الصهيونيّ الأسماء القديمة مدّعيًا أنّها أسماء توراتيّة، أو حرّف الأسماء العربيّة المتداولة صوتيًا لتبدو عبريّة... توهّم العامّة من الطرف العربيّ أنّ هذه الأسماء فعلا عبريّة، فانصرفوا عنها، ونفروا من استخدامها، وفي ذلك قال العمريّ

(العمريّ، 2023): إنّ الناس يتجنّبون استخدام الاسم الكنعانيّ لجبال "جلبوع" في محافظة جنين؛ ظنّا منهم أنّه اسم عبريّ، لأنّ الكيان الصهيونيّ استخدم كلمة "جلبوع" لتسمية إحدى "المستوطنات" القريبة.

وردّا على المصطلح الذي فرض على الأراضي المحتلّة لتسمية الكيان الصهيونيّ "إسرا ئيل" استخدم العرب مصطلحات تدلّ على موقفهم من هذا المصطلح منها:

إسرائيل المزعومة: مصطلح عبّر العرب من خلاله عن رفضهم للكيان الصهيونيّ، وعدم تصديقهم ما حدث. (المسيريّ، 2005) فكلمة (زعم) تحمل دلالة معجميّة سلبيّة توحي بالكذب، والكلام الباطل. ففي العربيّة "إذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنما يقال ذلك لأَمر يُسْتَيْقَنُ أَنه حق، وإِذا شُكَّ فيه فلم يُدْرَ لعله كذب أَو باطل قيل زَعَمَ فلان". (ابن منظور، 1981) وعليه فإنّ استخدام مصطلح "إسرا ئيل المزعومة" يوحي بأنّ الادّعاءات الصهيونيّة بأنّ يهود اليوم انحدروا من سلالة بني إسرائيل المذكورة في القرآن الكريم باطلة، وحقّ اليهود في فلسطين حقّ باطل لا أساس له، ودولة اليهود مجرّد افتراء باطل، ولن تصبح يوما حقيقة مقبولة عند الطرف العربيّ رغم محاولات الطرف الصهيونيّ فرض وجوده في المنطقة كأمر واقع.

الكيان الصهيونيّ: استخدم الطرف العربيّ هذا المصطلح للدلالة على الأراضي التي وقعت تحت الاحتلال الصهيونيّ عام 1948؛ لتجنّب استخدام المصطلحات الصهيونيّة، أو استخدام مصطلح دولة الذي يوحي بالاعتراف بدولة الاحتلال. واستخدم أيضا مصطلحات شبيهة به مثل: "التجمّع الصهيونيّ"، أو "فلسطين المحتلّة"، و"أراضي الـ 48"، وهي مصطلحات تدل على إدراك الطرف العربيّ للظاهرة الصهيونيّة التي فرضت على المنطقة، ورفضه الاعتراف بدولة الاحتلال. (المسيريّ، 2005)

ينبغي التنويه في هذا المصطلح أنّ لفظ (صهيون) اسم كنعانيّ يطلق على أحد جبال القدس، ولا تزال عائلات فلسطينية تنسب إلى جبل صهيون مثل عائلة "صهيونيّ" و"آل صهيون" في لبنان، إلا أنّ المصطلح منسوب إلى الحركة الصهيونيّة (التي نسبت نفسها إلى جبل صهيون كما تقدّم) وليس إلى جبل صهيون نفسه.

لكن، على الرغم من مقاومة الطرف العربيّ لعبرنة أسماء الأماكن إلّا أنّه وجد نفسه مضطرّا لاستخدام المصطلحات التي فرضها الكيان الصهيونيّ في تسمية المكان؛ لأنّها أصبحت معتمدة في الوثائق والمعاملات الرسميّة. ففي الأربعينات من القرن العشرين كان مختار القرية الذي يحجم عن استخدام الاسم المستحدث يحرم من استلام راتبه. (بنفنيستي، 2001) وبعد ثورة التكنولوجيا اضطرّ الفلسطينيّون إلى استخدام التسميات الصهيونيّة بسبب طمس الأسماء العربيّة من الخرائط الرقميّة في كثير من المنصّات العالميّة، وحاجتهم إلى تحديد الموقع والتواصل من خلال الخريطة الرقميّة.

وفي بعض الأحيان لم يستشعر الطرف العربيّ الخطر الذي يترتّب على استخدام مصطلحات الطرف الصهيونيّ في تسمية الأماكن، فأقدم على استخدامها في تسمية الأماكن المستحدثة مثل "تل أبيب"، أو التي أعيد تسميتها مثل "نتانيا" بدلا من "أمّ خالد"؛ لأنّ هذه الأسماء أصبحت واقعا مفروضا على الأرض، ومع مرور الزمن طمست بعض الأسماء العربيّة القديمة، أو بقيت محفوظة في بطون الكتب والأبحاث العلميّة.

وربّما تهاون الطرف العربيّ في استخدام المصطلح من باب التساوق مع الخطاب الإعلاميّ الغربيّ، فاستخدم بعض الإعلاميّين العرب مصطلحات روّج لها الطرف الصهيونيّ، مثل: "إسرا ئيل" و"الدولة اليهوديّة" و"الدولة العبريّة"، دون تنبّه إلى خطورتها أو ما ينبني عليها من اعتراف ضمنيّ بدولة الاحتلال.

أمّا بعد أوسلو وما تبعها من تطبيع العلاقات بين بعض الدول العربيّة والكيان الصهيونيّ، فقد وجدت المصطلحات العبريّة طريقها إلى ألسنة شريحة كبيرة من العرب، فدرج استخدام مصطلح "إسرا ئيل" بلا حرج، ولم يعد غريبا أن توظفه باحثة عربيّة تتناول الصراع في عنونة كتابها أو في ثناياه، مثل قولها: "إسرا ئيل لا يزعجها سلاحنا... ولكن إسرا ئيل يصيبها الذعر من تنظيم صفوفنا". (فؤاد، 1999، صفحة 10) ودرج على ألسنة السياسيّين والحكّام الذين وقّعوا اتّفاقيّات مع الكيان الصهيونيّ. (حوار السيد الرئيس محمود عباس مع الصحافة الإسرا ئيليّة، 2010)

وفي هذه المرحلة أيضا ظهرت مصطلحات تتساوق مع إملاءات المرحلة منها مصطلح "**فلسطين التاريخيّة**" درج في الاستخدام للتمييز بين "دولة فلسطين" التي أعلن عن قيامها في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة فقط، ودولة "فلسطين" بحدودها المعروفة فترة الانتداب البريطانيّ.(2)

(2) يستخدم الطرف الصهيوني مقابله مصطلح "فلسطين الانتداب"؛ لأنّه ينكر تاريخ فلسطين، ويدّعي أنّها لم تكن معروفة قبل قانون الجنسيّة الفلسطينيّة الذي وضعه الانتداب عام 1922.

يُستخدم مصطلح "فلسطين التاريخيّة" غالبا في سياق التأكيد على الحقّ الفلسطينيّ في فلسطين كلّها، لكنّه يوحي بأنّ هناك "فلسطين" أخرى اصطلح عليها تختلف عن "فلسطين التاريخيّة"، ويقصد بها دولة فلسطين الحاليّة المقامة بموجب أوسلو، وتعزيز هذا الواقع في وعي الأجيال قد يصرفهم عن المطالبة بتحرير فلسطين.

ومن تلك المصطلحات مصطلح "**القدس الشرقيّة**" الذي يستخدمه الطرف العربيّ مقابل مصطلح "شرقيّ أورشليم" الذي يستخدمه الطرف الصهيونيّ. في إشارة إلى واقع القدس وتقسيمها.

يعود تقسيم مدينة القدس إلى فكرة طرحها (هرتزل) عند زيارته لها عام 1898، وكان قبل تلك الزيارة يرى أنّ السيادة اليهوديّة على "أرض إسرائيل" لا تعني بصورة تلقائيّة بأنّ القدس عاصمة لها، وخلال تلك الزيارة راقب المدينة من جبل الزيتون، ورأى سياديّة قبة الصخرة، فبلور فكرة للمدينة بأن تبقى القدس القديمة منطقة دوليّة مفتوحة لجميع الديانات، ويبنى فيها هيكلا يقيم اليهود فيه شعائرهم على مسافة من الحرم القدسيّ، على أن تقام مدينة لليهود خارج أسوار القدس وفق الطراز الأوروبيّ لتكون العاصمة الثقافيّة والسياسيّة لليهود.

توافقت رؤية (هرتزل) في تأسيس مدينة خاصّة لليهود مع انفصال الحيّ اليهوديّ الذي نشأ عندما بدأ التوسّع في البناء خارج أسوار المدينة القديمة، فاختار اليهود الجهة الغربيّة. (غولان، 1996) ولا غرابة في توافق هذا الاختيار مع الحائط الغربيّ لسور القدس لما يكنّه اليهود من أطماع صهيونيّة فيه، وإن برّروا هذا الاختيار بخلو الجهة الغربيّة من أماكن عبادة المسلمين والمسيحيّين بدعوى تجنّب الاحتكاك.

وفي عام 1948 احتلّت العصابات الصهيونيّة الأحياء الغربيّة من مدينة القدس حيث الكثافة السكّانيّة لليهود فيها، ممّا هيّأ لانقسام المدينة إلى وحدتين إداريّتين، إحداهما تابعة لإدارة الكيان الصهيونيّ، والأخرى تابعة لإدارة المملكة الأردنيّة، وبدأ مصطلحا "القدس الشرقيّة" و"القدس الغربيّة" بالظهور في إشارة إلى حال القدس تحتّ الاحتلال.

بعد احتلال الضفّة الغربيّة عام 1967 فصل الكيان الصهيونيّ القدس عن بقيّة أراضي الضفّة الغربيّة، وأعلن عام 1980 توحيد المدينة وضمّها إداريّا إلى الأراضي المحتلّة عام 1948. (الدقاق، 2013) واجه هذا القرار رفضا عربيّا ودوليّا، لأنّ الأحياء الشرقيّة من القدس تقع ضمن الأراضي المحتلّة عام 1967، وهو بذلك يخالف قرار تقسيم فلسطين، واتّفاقيّات الهدنة.

عندما قبلت منظمة التحرير الفلسطينيّة قرار التقسيم، وأعلنت قيام دولة فلسطين في حدود الأراضي المحتلّة عام 1967 أعلنت "القدس الشريف" عاصمة للدولة الفلسطينيّة المعلنة في أراضي الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة. ولم يحدِّد الإعلان القدس القديمة أو الأحياء الشرقيّة لكنّ ربط الدولة المعلنة بقرار التقسيم وتاريخ الاحتلال دلّ على ذلك. فأصبحت القدس رسميّا عاصمة لدولتين: فلسطينيّة و"إسرا ئيليّة". لكنّ مصطلح "العاصمة" عند الطرف العربيّ يشير إلى الأحياء الشرقيّة من القدس "القدس القديمة" فقط وفق دلالة مصطلح "القدس الشرقيّة"، أكّد ذلك الرئيس الفلسطينيّ محمود عبّاس في حوار له مع صحفيّين "إسرا ئيليّين" جاء فيه: "القدس الشرقيّة لنا، والغربيّة لكم". (حوار السيد الرئيس محمود عباس مع الصحافة الإسرا ئيليّة، 2010، صفحة 12، 13، 21)

وإذا كان الخطاب السياسيّ ينسجم مع سياسة المفاوضات واستحقاقات مرحليّة، فإنّ مصطلح "القدس الشرقيّة" درج في الاستخدام حتى على ألسنة من يناوؤون سياسة المفاوضات. وكان الأجدر التمسّك بمصطلح "القدس الشريف" الذي جاء في وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطينيّ، وكان الرئيس الفلسطينيّ الراحل (الشهيد ياسر عرفات) يستخدمه؛ فهو أدقّ في التعبير، ويحافظ على وحدة القدس والحق الفلسطينيّ فيها، سواء في ذلك الأحياء المحتلّة عام 1967 والمحتلة عام 1948.

أمّا المصطلح الصهيونيّ فيشير إلى وحدة القدس شرقا وغربا، فالطرف الصهيونيّ يرفض تقسيم القدس، ويدّعي الحقّ في السيادة عليها موحّدة عاصمة للكيان الصهيونيّ، ولذا فهو يستخدم مصطلح "شرقيّ العاصمة" و"شرقي أورشليم"، ولا يوحي هذا المصطلح بأي شكل من أشكال التقسيم، فمن الطبيعيّ أن يكون للمدينة شرق وغرب وشمال وجنوب.

والمثال الذي تقدّم يدلّ على انجرار الطرف العربيّ خلف المصطلحات الصهيونيّة أحيانا، أو التهاون في توظيف المصطلحات التي قد ينبني عليها التفريط في حقّه، أمّا الطرف الصهيونيّ فكان أكثر حذرا وبقي ثابتا على مصطلحاته، ورفض التراجع عنها أو الاعتراف بالمصطلحات الجديدة إلا بالقدر الذي يخدم روايته.

ثالثا: مصطلحات متداولة بين الطرفين

تداول الطرفان مصطلحات متشابهة لكنّها كانت غالبا بدلالات متناقضة؛ وذلك انطلاقا من الاختلاف في وجهات النظر وموقف كلّ منهما المناقض للطرف الآخر، ومن تلك المصطلحات:

الأرض/ الأراضي المحتلّة: ظهور المصطلح بعد النكبة، واقتصر استخدامه على الطرف العربيّ في الإشارة إلى أراضي المحتلّة عام 1948. وبعد احتلال بقيّة الأراضي الفلسطينيّة عام 1967 أضاف الطرف العربيّ تاريخ النكبة للمصطلح؛ للتميز بينها وبين والأراضي المحتلّة عام 1967.

أمّا الطرف الصهيونيّ فلم يستخدم مصطلح "الأراضي المحتلّة"، لأنّ مصطلح "احتلال" يتناقض مع الرواية الصهيونيّة بأنّ الأرضّ حقّ لليهود، وهذا ما أشار إليه (موشيه دايان) بقوله: "إسرا ئيل موجودة في الأراضي بالحقّ لا بالغزو". (Aronson، 1990، صفحة 20) وعزّز هذه المقولة قرار التقسيم الذي منح اليهود جزءا من الأراضي الفلسطينيّة لإقامة دولتهم، وبناء على هذا القرار، وما تبعه من اتفاقيّة الهدنة، اتّخذ اليهود الأراضي المحتلّة عام 1948 دولة لهم، واقتصرت المفاوضات مع الطرف العربيّ على الأراضي التي سيطرت عليها العصابات الصهيونيّة من المنطقة التي أعطيت للعرب بموجب قرار التقسيم. (التلّ، 1990)

بعد النكسة استخدم فريق من اليهود مصطلح "الأراضي المحتلّة" للدلالة على الأراضي المحتلّة عام 1967 فقط. (أبارسيو، إيتان، وإليونور برونشتاين، 2023) وذلك بسبب رفضه ضمّ تلك لأراضي إلى الكيان الصهيونيّ لأسباب مختلفة أهمّها الحفاظ على يهوديّة الدولة. (نايئن، 2006) بينما استخدم فريق آخر مصطلح "الأرض المحرّرة" للدلالة عليها.

الأراضي المحرّرة: من المصطلحات التي استخدمها الطرفان ولكن بدلالات مختلفة؛ فقد استخدمه فريق من الطرف الصهيونيّ بعد النكسة في الدلالة على أراضي الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة التي وقعت تحت الاحتلال، وأصبحت جزءا من "إسرا ئيل". (عباسي، 1999) وفي ذلك إشارة إلى انكار الحقّ الفلسطينيّ، لما يوحي به المعنى المعجميّ للتحرير بأنّ الأرض ملك للصهاينة، وليس الاحتلال الصهيونيّ إلا تحريرلها من الحكم العربيّ.

أمّا الطرف العربيّ فقد استخدمه للدلالة على المنطقة نفسها (الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة) بعد عودة الشهيد ياسر عرفات إليها على رأس فصائل المقاومة في منظمة التحرير الفلسطينيّة عام 1994 بموجب اتفاقيّة أوسلو، كما جاء في خطابات الشهيد ياسر عرفات الجماهيريّة في المدن الفلسطينيّة معلنا تحريرها، (خطاب السيد الرئيس في المدن المحررة، 1996) واستخدم ثانيّة في الاشارة إلى قطاع غزّة بعد انسحاب قوّات الاحتلال منه عام 2005. مع أنّ هذا المصطلح في الحالتين لا يدلّ على التحرير الحقيقيّ.

المستوطنات: من المصطلحات الإشكاليّة في تسمية المكان الاختلاف في تسمية التجمّعات السكانيّة الصهيونيّة في فلسطين. وهي تجمّعات طارئة، بدأت بالظهور بصورة تجمّعات زراعيّة منذ العصر العثمانيّ بعد صدور قانون حقّ الأجانب بحيازة الأراضي وتملّكها عام 1867م. (عباسي، 1999) فبدأ اليهود بموجب هذا الحقّ بممارسات استيطانيّة في فلسطين، وأقبلوا على شراء مساحات متقاربة من الأرض، أو استولوا على أراضٍ نائية في قمم الجبال غالبا، وأقاموا تجمعات سكانيّة لهم فيها.

وفي عام 1909 أسست "الشركة الفلسطينيّة لتطوير الأراضي" بهدف شراء الأراضي لتوطين اليهود في فلسطين، وطبق نهج "بنك الأراضي" الذي طُبق في ألمانيا الاشتراكيّة، وأنشأ اليهود قرى زراعيّة تعاونيّة وفق نظامين: "كيبوتز" و"موشاف". (بيتربيرغ، 2009) ومنحت تلك التجمّعات أسماء توراتيّة غالبا.

عرفت تلك التجمعات عند الطرف العربيّ بمصطلح "المستعمرات"،[(3)] وهو المصطلح الذي رافق نشأتها قياسا على مفهوم "الاستعمار" واشتقاقا من لفظه. ثمّ أدرك العرب أنّ هذه المستعمرات لا تنسجم مع مصطلح "الاستعمار" الذي يدلّ على استيلاء الدول الاستعماريّة على أراضي دولة أخرى بمن فيها من السكّان، ففلسطين كلّها كانت مستعمرة لبريطانيا، بينما العصابات الصهيونيّة لم تكن دولة فرضت سيادتها على تلك الأراضي، وأقيمت تلك "المستوطنات" في أراض زراعيّة أو فوق قرى مهجّرة فحلّ المهاجرون اليهود مكان المواطنين العرب وهذا الواقع لا يتوافق مع مفهوم الاستعمار.

أدرك العرب ما ينبني على الدلالة المعجميّة للفعل "استعمر" من تأكيد ما جاء في الدعاية الصهيونيّة بأنّ اليهود جاؤوا إلى أرض خالية من السكان قاحلة، لتعميرها وجعلها جنة خضراء؛ لذا رفض فريق من العرب مصطلح "المستعمرات"، وهو محقّ في ذلك، واستخدم بدلا منه مصطلح "مستوطنات". فظهر اضطراب في توظيف المصطلح سواء في الخطاب أم عند الكتب.[(4)] وكانت الغلبة لمصطلح "مستوطنات"، لأنّه يصف الواقع السياسيّ الراهن من ادّعاء اليهود فلسطين وطنا لهم.

---

(3) ورد استخدام مصطلح مستعمرة في مذكّرات عبد الله التلّ الذي عايش الأحداث بحكم موقعه السياسيّ في حكومة الأردنّ. (ينظر على سبيل المثال ص 19، 22، 143 حيث ورد المصطلح في العنوان.)

(4) من أمثلة الاضطراب في توظيف المصطلحين في لخطاب الواحد ما نجده عند الباحث نظام عباسيّ الذي وظّف المصطلحين دون تفريق بينهما في مؤلّفه الذي تمّت الإحالة إليه سابقا (ينظر: ص 19 – 23).

ولما كانت الزيادة في الفعل تشير إلى الاتّخاذ، فقد أحجم فريق من العرب عن استخدام مصطلح "مستوطنات" رفضا لمبدأ توطين اليهود في فلسطين، وهو محقّ في ذلك، ودعا إلى استخدام مصطلح "مغتصبات": للتعبير عن اغتصاب اليهود للأرض المقامة فوقها عنوة من أصحابها الفلسطينيّين، وقد يكون هو المصطلح الأكثر توصيفا للواقع، والأجدر بالاستخدام، لكنه لم يلق رواجا كافيًا بعد.

تحوّلت "المستوطنات" الصهيونيّة إلى مدن أو قرى صهيونيّة بعد النكبة، ثمّ عاد الاستيطان لينشط بعد النكسة، فأقام اليهود تجمّعات استيطانيّة في الأراضي المحتلّة عام 1967، ومنذ النكسة اقتصر مفهوم "المستوطنات" على تلك التجمعات اليهوديّة في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة حيث نشطت حركة الاستيطان.

بعد أوسلو والمطالبة بوقف الاستيطان، وعلى الرغم من عدم استجابة الكيان الصهيونيّ وقيامه بإنشاء "مستوطنات" جديدة، إلا أنّه ومن باب التحايل على الرأي العامّ في المجتمع الدوليّ، أقام وحدات سكنيّة قرب "المستوطنات" المقامة سابقا، وعرفت تلك التجمّعات الجديدة بمصطلح "بؤر استيطانيّة". (حامد، أحمد، وآخرون، 2003)

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن القول إنّ الطرف الصهيونيّ نجح في طمس عدد من الأسماء العربيّة للمدن والقرى والتضاريس الفلسطينيّة من الخرائط التي أعدّها للمنطقة، وخلت معظم أنظمة الحاسوب التابعة للاحتلال الصهيونيّ والخرائط الرقميّة على المنصّات الداعمة للكيان الصهيونيّ من أسماء تلك المواقع. لكنه لم ينجح في محو "ذاكرة المكان"، التي ما زالت وفيّة لتاريخ تلك الأماكن والحضارات التي انصهرت فوقها مشكّلة خصوصيّة حضاريّة فريدة، وشاهدة على أحقيّة الشعب الفلسطينيّ بأرضه التي ورثها عن أجداده الكنعانيّين، وهم أوّل من استوطن أرض فلسطين وعمرها. وبعد تحليل مصطلحات الصراع العربيّ-الصهيونيّ في تسمية المكان خلصت الدراسة إلى عدّة نتائج وهي:

- تميّز الطرف الصهيونيّ بالمراوغة في توظيف المصطلحات، فابتعد عن المصطلحات التي تتعارض مع روايته مثل "فلسطين"، و"حائط البراق"، والأراضي المحتلّة"... ووظّف بدلا منها مصطلحات تعزّز روايته مثل: "أرض إسرا ئيل"، و"حائط المبكى"، و"الأراضي المتنازع عليها"...
- وحدة النهج الذي اتّبعه الطرف الصهيونيّ في الاصطلاح على تسمية المكان، وتنظيم ذلك من خلال لجنّة خاصّة من العلماء وذوي الاختصاص، مقابل غياب المنهج أو جهة الاختصاص عند الطرف العربيّ.
- إهمال الطرف العربيّ للحضارة الكنعانيّة تركها فريسة سهلة أمام الطرف الصهيونيّ الذي أغار عليها وانتحلها ليدعم حقّه المزعوم في فلسطين.
- محاباة الدول الغربيّة للطرف الصهيونيّ، وتبني روايته كما يظهر في غياب التسميات العربيّة من الخرائط الرقميّة، وتداول المسميّات العبريّة؛ لترويج الرواية الصهيونيّة، وفرضها على الرأي العامّ العالميّ.
- انجرار الطرف العربيّ أحيانا خلف سياسة الدول الغربيّة، ووسائل الإعلام الخاضعة لهيمنة الطرف الصهيونيّ، في تداول المصطلحات التي تتساوق مع الرواية الصهيونيّة، وتوظيفها دون تقدير لخطورتها.

وبناء على نتائج الدراسة يوصي الباحثان بما يأتي:

- تكثيف الجهود العلميّة والتربويّة الرامية إلى نشر الوعي بأهميّة المصطلحات، وفضح ما تنطوي عليه مصطلحات الطرف الصهيونيّ من تحريف وتشويه للحقيقة؛ لحماية المجتمع العربيّ من الوقوع في شباك الرواية الصهيونيّة.
- إنتاج خرائط تفصيليّة بأسماء المدن والقرى والمواقع بأسمائها العربيّة أو الكنعانيّة التي كانت عليها قبل الاحتلال، ونشرها عبر الوسائل المختلفة.
- إحياء الأسماء التي طمسها الاحتلال الصهيونيّ للمدن والقرى الفلسطينيّة والمواقع الجغرافيّة، من خلال استحداث منشآت تحمل تلك الأسماء، وتسجيلها على الخرائط الرقميّة الحاليّة.
- دعوة الأدباء إلى توظيف الأسماء العربيّة للمدن والقرى والمواقع التي تمّ تغييرها، وإحياء أسماء القرى المدمّرة في أعمالهم الأدبيّة لتخليدها.
- إعداد برامج إعلاميّة موجّهة للناشئة حول الموروث الحضاريّ الفلسطينيّ، والتركيز على العناصر التي انتحلها الطرف الصهيونيّ من التراث الكنعانيّ؛ لتحفيزهم على محاكاتها، واستثمار مواهبهم وإمكاناتهم الخاصّة للمساهمة في نشر الرواية الفلسطينيّة.

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدّس/ العهد القديم
- الآباء. (1890). **كتاب السير السليم في يافا والرملة وأورشليم**. القدس، فلسطين: مطبعة الآباء الفرنسيسيّين.
- أبارسيو، إيتان، وإليونور برونشتاين. (2023). **النكبة بالعبريّة، عن النضال اليهوديّ ضدّ الصهيونيّة في إسرائيل**. تر: مصعب بشير. رام الله، فلسطين: مدار.
- بابيه، إيلان. (2007). **التطهير العرقي في فلسطين**. تر: أحمد خليفة، ط1، بيروت، لبنان: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الباش، حسن. (1988). **الميثولوجيا الكنعانيّة والاغتصاب التوراتيّ**. ط1، دمشق، سوريا: دار الجليل.
- بنفنيستي، ميرون. (2001). **المشهد المقدّس- طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ 1948**. تر: سامي مسلم. رام الله، فلسطين: مدار.
- بوديه، إيلي. (2006). **الصراع العربي الإسرائيليّ في كتب التاريخ المدرسيّة الإسرائيليّة 1984-2000**. تر: وليد أبو بكر. رام الله، فلسطين: مؤسسة الأيام.
- بيتربرغ، غابرييل. (2009). **المفاهيم الصهيونيّة للعودة، أساطير ودراسات إسرائيلية**. (د. ن).
- التلّ، عبد الله. (1990) **كارثة فلسطين، مذكرات عبد الله التلّ قائد معركة القدس**. ط2. عمّان، الأردنّ: دار الهدى.
- جاكوب، أدمون. (2007). **رأس شمرا والعهد القديم**. تر: جورج كوسى. ط2. دمشق: سوريا: دار الفرقد.
- جفريز، ح م ن. (1971). **فلسطين: إليكم الحقيقة**. تر: خليل الحاج. القاهرة، مصر: دار الكتاب العربيّ.
- حامد، أحمد، وآخرون. (2003). **معجم الفاظ الانتفاضة**. القدس، فلسطين: مجمع اللغة العربيّة الفلسطينيّ.
- الحموي، ياقوت. (1990). **معجم البلدان**. تح: فريد عبد العزيز الجندي. ط1. بيروت، لبنان: دار لكتب العلميّة.
- الحنبلي، مجير الدين. (1973). **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**. عمّان، الأردنّ: مكتبة المحتسب.
- الدقاق، إبراهيم. (2013). **الصراع الفلسطينيّ-الإسرائيلي، مراجعة نقدية ورؤية مستقبلية**. ط1. بيروت، لبنان: مركز الدراسات والوحدة العربيّة.
- الديك، إحسان. (2019). **فلسطين بين الواقع والأسطورة**. ط 1. رام الله، فلسطين: دار الشامل للنشر والتوزيع.
- رابكن، يعقوب. (2021). **معنى إسرائيل**. تر: حسن خضر. رام الله، فلسطين: مدار: رام الله.
- الربيعيّ، فاضل. (2010). **فلسطين المتخيّلة، أرض التوراة في اليمن القديم**. ط 3. دمشق، سوريا: دار الفكر.
- الريحانيّ، أمين. (1998). **مصير فلسطين**. تعريب: طنسي زكا. ط1. بيروت، لبنان: دار الجليل.
- ساند، شلومو. (2018). **اختراع "أرض إسرائيل"**. تر: أنطوان شلحت وأسعد زعبي. ط 2. رام الله، فلسطين: مدار.
- السواح، فراس. (1989). **الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**. ط1. دمشق، سوريا: دار المنارة.
- سوسة، أحمد. (د. ت). **العرب واليهود في التاريخ**. ط6. دمشق، سوريا: العربيّ للإعلان والنشر والطباعة.
- السومي، لطفي. (2018). **التوراة في مواجهة علم الآثار والدراسات التوراتية**. ط2. القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.
- الشريف، دعاء. (2017). **التوراة تثبت أنّ فلسطين أرض عربيّة**. ط1. بيروت، لبنان: الفرات للنشر والتوزيع.
- الصليبيّ، كمال. (1985). **التوراة جاءت من جزيرة العرب**. بيروت، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربيّة.
- عباسي، نظام. (1999). **فلسطين والبرنامج العربيّ، الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة حتى عام 1987**. ط1. نابلس، فلسطين: دار الريان.
- عبد الكريم، إبراهيم. (2001). **تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينيّة**. دمشق، سوريا: اتّحاد الكتّاب العربيّ.
- عدوان، ممدوح. (2007). **تهويد المعرفة**. ط2. دمشق، سوريا: دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع.
- عرّاف، شكري. (2004). **المواقع الجغرافيّة في فلسطين، الأسماء العربيّة والتسميات العبريّة**. ط1. بيروت، لبنان: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.
- العمريّ، بركات. (8/ 3/ 2023). مقابلة شخصيّة أجرتها الباحثة أمل أبو عون مع رئيس بلديّة مرج ابن عامر. في مجلس فقوعة. جنين، فلسطين.
- أبو عون، أمل. (2023/11/11). من خطاب الرئيس ياسر عرفات في القمّة العربيّة 1990؛ يوتيوب؛ **أمل أبو عون**. الاسترجاع: 2024/5/22. من خطاب الرئيس ياسر عرفات في القمة العربية YouTube1990 -
- غارودي، روجيه. (1990). **إسرائيل بين اليهوديّة والصهيونيّة**، تر: حسين حيدر. ط1. بيروت، لبنان: دار التضامن.
- غنايم، محمد حمزة. (2011). **وجها لوجه، سجالات مع مثقفين يهود**. رام الله، فلسطين: مدار: رام الله.

- غولان، موطي. (1996). **السياسة الصهيونيّة تجاه القدس من عام 1937-1947**. تر: جواد الجعبري. ط1. رام الله، فلسطين: وزارة الإعلام الفلسطينية.
- غير محدّد. (1996). **خطاب السيد الرئيس في المدن المحررة**. ط1. رام الله، فلسطين: وزارة الإعلام الفلسطينية.
- غير محدّد. (2010). **حوار السيد الرئيس محمود عباس مع الصحافة الإسرا ئيليّة**. رام الله: (د. ن).
- فؤاد، نعمات أحمد. (1999). **إسرا ئيل، ماذا تقول الوقائع... والكتب؟**. القاهرة، مصر: دار نهضة مصر.
- فارس، عوني، وساري عرابي. (2017). **مفاهيم ومصطلحات القضيّة الفلسطينيّة**. ط2. إسطنبول، تركيا: مركز رؤية للتنمية السياسيّة.
- الفاروقي، إسماعيل راجي. (1988). **أصول الصهيونيّة في الدين اليهوديّ**. ط2. القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.
- الفرّا. محمد علي. (2010). **اليهود.. الإسرا ئيليون.. العبرانيون.. الصهاينة.. أساطيرهم وحقيقتهم ومصير دولتهم**. ط1. عمّان، الأردنّ: دار مجدلاويّ للنشر والتوزيع.
- فِريته، مَير. (د. ت). **"عودة" اليهود في الفكر البروتستانتي الإنجليزي 1790-1840**. تر: فاضل جتكر. ط1. دمشق، سوريا: قدمس للنشر والتوزيع.
- قوجمان، يحزقيل. (1970). **قاموس عبريّ-عربيّ**. عمّان، الأردنّ: مكتبة المحتسب.
- الكيلاني، إسماعيل. (1986). **الخلفيّة التوراتيّة للموقف الأمريكيّ**. الدوحة، قطر: مكتبة الأقصى الإسلاميّ.
- الماجدي، خزعل. (1999). **الآلهة الكنعانيّة**. ط1. عمّان، الأردنّ: أزمنة للنشر والتوزيع.
- (2017). **تاريخ القدس القديم، منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الرومانيّ**. ط2. عمّان، الأردنّ: دار غيداء للنشر والتوزيع.
- المحمود، يوسف. (2023). **المعجم الكنعانيّ**. ط1. عمّان، الأردنّ: الأهليّة للنشر والتوزيع.
- المرداوي، محمود. (2016). **المستوطنات الصهيونيّة في الضفّة الغربيّة أصل التسمية ودلالاتها**. ط1. إسطنبول، تركيا: مركز رؤية للتنمية السياسيّة.
- مرقطن، محمد. (2020). ذاكرة المكان، أسماء المدن والقرى الفلسطينيّة ما بين الاستمراريّة التاريخيّة والطمس الصهيونيّ. ***مجلة تبيّن***. الدوحة، قطر. ع 33. ص 31 - 54
- المسيري، عبد الوهاب. (2005). **في الخطاب والمصطلح الصهيونيّ، دراسة نظرية تطبيقيّة**. ط2. القاهرة، مصر: دار الشروق.
- المصري، رأفت. (8/ 8/ 2023). كيف اشتهر لقب "القدس الشريف"؟ سيرة القدس/ الحلقة1؛ يوتيوب؛ **تاريخنا– فلسطين**. الاسترجاع: 2024/5/22. https://www.youtube.com/watch?v=yCxbAtRkOGg
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1981). **لسان العرب**. تح: عبد الله علي الكبير وآخرون. ط1. القاهرة، مصر: دار المعارف.
- موسى، خليل. (2019/6/29). **واشنطن تعتبر الضفة "أراضي متنازعا عليها".. و"الفلسطينيّون".. محاولة لتصفية حقوقنا**. الاسترجاع: 2024/5/22. واشنطن تعتبر الضفة "أراضي متنازعا عليها" "والفلسطينيون" ...محاولة لتصفية حقوقنا | "اندبندنت عربية (independentarabia.com)
- نايثن، سوزان. (2006). **الوجه الآخر لإسرا ئيل، شهادة حقّ من امرأة يهوديّة**. تر: إيمان شقير. بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للتأليف والنشر.
- وايتلام، كيث. (1999) **اختلاق إسرا ئيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطينيّ**، تر: سحر الهنيدي، الكويت، الكويت: عالم المعرفة.
- يعقوب، تادرس. (د. ت). **تفسير سفر الملوك**. الاسترجاع: 2024/5/22م. ثورات في مملكة إسرائيل | تفسير ملوك الأول 16 - تفسير سفر الملوك الأول الأصحاح السادس عشر - القمص تادرس يعقوب - تفسير العهد القديم| St-Takla.org
- Aronson, Geoffrey. (1990). **Israel, Palestinians and the Intifada: Creating Facts on the West Bank**. London, U.K & New York, U.S.A: Kegan Paul International